مالك 2
حور
نادته فاستجاب .. سألها فأعطته
محمود بكري
ساحر الكتب

بكري: محمود

حور: رواية/ محمود بكري. - القاهرة: دار الرسم بالكلمات للنشر والتوزيع / القاهرة: ٢٠١٨

٢٠٠ص؛ ١٤×٢٠

تدمك: ٣-٧٠-٢-٧٠-٦٥-٩٧٧-٩٧٨

رقم الإيداع: ٢٠١٧/٢٨٧٤٢

دار النشــــــر: دار الرسم بالكلمات للنشر والتوزيع

عنوان الكتـاب: حـــــــور

الكاتــــــب: محمود بكري

تصحيح لغــوي: عبد الله أسامة

تنسيق داخلــي: سمر محمد

تصميم الغلاف: إسلام مجاهد

إشراف عـــام: محمد المصري

 elrasm.blkalemaat

 elrsmblklemat@yahoo.com

٠١٠٦١٤١٩٥٥٥

نادته فاستجاب.. سألها فأعطته

محمود بكري

إهداء

لكل من استطاع أن يتخطى ذكرياته..

وقاتل من أجل إسعاد من يحب.

-المشهد الأخير-

يطرق «مالك» باب إحدى الغرف داخل أحد فنادق القاهرة الشهيرة -ذلك الفندق الذي تستعد واحدة من قاعاته لاستقبال حفل زفاف بعد ساعات قليلة، حفل زفاف طالما طال انتظاره- طالبًا الإذن بالدخول ليأتي صوت «حور» الرقيق من داخل الغرفة يأذن للطارق بالدخول، ليدخل «مالك» وينظر إلى تلك العروس الجميلة التي تستعد لحفل زفافها مناديًا بكل ما أوتي من حب وحنان:

- «حور».. حبيبتي.

تجري «حور» عليه متعلقة برقبته وقد تمددت على وجهها ابتسامة رقيقة تلونها حمرة الخجل هامسة بصوت يكاد يدخل القلب قبل أن يمس الأذن وهي هائمة:

- حبيب «حور».

ثم سريعًا يعود إليها وعيها لتفيق من هيامها وتدرك أنها ليست جاهزة بعد، وأنه لا يجب لأحد أن يراها الآن وهي بهذه الهيئة؛ فتصيح به بنفس الرقة مازحة وقد تراجعت خطوتين للخلف قائلة:

- ممكن اعرف حضرتك بتعمل ايه هنا دلوقتي! وليه مش بتجهز علشان الفرح! اتفضل حضرتك اطلع بره.. مش هتشوفني غير وانت جاي تاخدني بفستاني علشان الزفة.. مينفعش حد يشوفني كدا أصلًا!

لم يتمالك «مالك» نفسه وأخرجته من هيامه لحظة دهشة لم تدم طويلًا لينفجر بعدها ضاحكًا وهو يقول:

- هي بقت كدا يعني.. آخرتها بتطرديني.. ماشي.. مفيش فايدة هتفضلي بنفس أسلوبك دا.. أعمل ايه بقى.. وراثة.

ثم استطرد قائلًا وقد استعاد صوته حنانه قائلًا:

- بس على فكرة بقى.. انتِ أجمل عروسة في العالم حتى وانتِ كدا.

طبعت قبلة خفيفة على خده الأيمن وقد راقت لها جملته ثم قالت:

- ربنا يخليك ليا يا حبيبي ربنا ما يحرمني منك أبدًا.

ثم استطردت بنفس الحنان قائلة:

- ممكن تروح أوضتك بقى تجهز وتسيبني انا كمان علشان الحق اجهز.

قال لها وقد ارتسمت على وجنتيه ملامح الجدية:

- «حور».. أنا فيه كلام مهم محتاج اقولهولك وحاجات مهمة لازم تعرفيها قبل الفرح.

بدا القلق على ملامحها الرقيقة سائلة:

- خير يا حبيبي فيه إيه.. أنت كويس.. طمني عليك.

- متخافيش يا حبيبتي أنا كويس... بس فيه كلام مهم لازم تعرفيه ودا الوقت المناسب ليه.

ثم أدار نظره تجاه الموجودات داخل الغرفة في إشارة إلى أنه يريدها على انفراد فتوترن لا يعرفن ما عليهن فعله لتشير هي لهن أن انتظرن خارجًا قليلًا على أن تعدن بعد أن يفرغ «**مالك**» من حديثه، وبالفعل غادرن وأمسك «**مالك**» «**حور**» من كتفيها برفق دافعًا إياها إلى حرف سرير الغرفة وهي مستسلمة تمامًا يعتريها القلق، ثم سحب كرسيًا ليجلس أمامها راجعًا بظهره إلى الوراء مستعدًا أن يلقي ما يحمله من حكايات رأى أن هذا هو الوقت المناسب ليلقيها عن عاتقه الذي طالما حمل وتحمل...

-١-

صوت سيارة الإسعاف يملأ المكان، حملها **«مالك»** بين ذراعيه ونزل بها السلالم بحرص، وجد «هاجر» و«**مصطفى**» بانتظاره أسفل البناية، وضعها «مالك» على السرير المتحرك وساعد المسعفين في وضعه داخل سيارة الإسعاف، ركب السيارة بجانبها بينما «**هاجر**» و«**مصطفى**» يلحقان بهما بسيارتهما الخاصة.

يجلس «مالك» بجانب «حور» وهي تصرخ بكل قوتها وهو ممسك بيديها يهوّن عليها الألم، يجلس بجوارها وينظر في عينيها مباشرةً، يخبرها أنه بجانبها وسيظل دومًا، وصلا إلى المستشفى، تحرك بجانبها إلى غرفة العمليات، استلمها الطبيب المسؤول عنها بينما انتظر «مالك» برفقة صديقه وشقيقته في الخارج، يتحرك «**مالك**» ذهابًا وإيابًا في توتر منتظرًا الطبيب ليطمئن عليها، جلس أرضًا بجانب باب غرفة العمليات وترك رأسه للحائط وبدأ يتذكر ثلاث سنوات مرت معه بجوارها ممتلئة بالأحداث والذكريات...

سرحت في دنيا أخرى بين السماء والأرض، وقفت فيها بأطراف أصابعها على رمال الشط لا تريد أن تداعبها المياه، يعلم جيدًا أنها تخاف من مغازلة البحر لأنه يستطيع أن يدغدغ مشاعرها، كانت الشمس لم تشرق بعد، جاء من ورائها واحتضنها فرجعت بقدميها تقف على قدميه، فبدأ يتحرك بها ويمشي حتى لامست المياهَ أقدامهما. علت ضحكاتها فضمها أكثر بعد أن وضع قُبلة على كتفها ومنها على عنقها، دائمًا تشعر بمعنى الوطن بين أحضانه، فهي حقًا سكنته وهو استطاع أن يكون لها الوطن.

انتبهت من شرودها في هذا المنظر الذي تمنته بجانبه تقدم هو من خلفها واحتضنها من الخلف، ووضع قُبلة على عنقها، لتشعر هي بمعنى الحرية في وطن عشقته منذ نعومة أظافرها، استدارت هي لتقف على قدميه بأطراف أصابعها، لتتعلق بعنقه وتمر بيدها على تلك اللحية التي تزيده وسامة، ثم وضعِت قبلة على خده الأيمن بجانب شفتيه ليأخذ أنفاسه من أنفاسها.. ليعلم أنها حورية هبطت من الجنة.

حملها بين ذراعيه ودلف غرفة جانبية في المنزل، غرفة فارغة من كل شيء سوى سبورة بعرض الحائط، وكرسيين وطاولة عليها مشغل أسطوانات، وضع حبيبته أرضًا ثم قال:

- الأوضة دي أهم أوضة في البيت.. لأن الأوضة دي اللي هنخشها زعلانين فنكتب كل حاجة حلوة حصلت بينا هنا ونخرج متصالحين.

كانت الغرفة لها شرفة تطل على قطعة أرض صغيرة زرع كل نبتة فيها بيده وظل يرويها كل يوم لتأتي من تحمّلت من أجله الكثير وتصبح هذه الجنة ملكها وحدها، نظرت لعينيه ليمسك بيدها ويخرج من الغرفة متجهًا إلى غرفة نومهما التي تطل على نفس الجنة.

سألته:

- شايفاك جوه الزرع دا أوي.. شبهك.

جعلها أمامه مباشرةً واقترب بشفتيه من أذنها وهمس لها قائلًا:

- كل دا قليل عليكِ.. انتِ عملتِ المستحيل.. كل دا في عشقك انتِ.

في هذه اللحظة تحرك «مالك» خطوة واحدة للخلف ثم ضغط ضغطة واحدة على مشغل الأسطوانات لتبدأ أغنية أعدها خصيصًا لهذه الليلة.

في عشقك سيبيني مرة اسرح سيبيني ابكي سيبيني افرح

اقترب منها مرة أخرى، وضع يده حولها ثم ضمها إليه لتسري قشعريرة في جسدها، تزداد ضربات قلبها داخل صدرها. لف

ذراعيه حولها ونثر على عنقها القبلات كحبات المطر التي تروي النبتة الظمأى، تحرك ليصبح أمامها فوجد خجلًا في ملامحها وفرحةً لا توصف في عينها لأنهما أخيرًا في مكان واحد لا يحول بينهما شيء.

يهوّن حبك يا حبيبتي في عز ضيقتي أي شيء يجرح

حملها مرة أخرى وعاد بها إلى غرفتهما ووضعها برفق على السرير وألقى بجسده جانبها، كان يريد أن ينعم بوجودها جانبه. استطاعت تلك الحورية أن تنتشله من جهنم إلى جنتها. ضمها لقلبه، حضنها بقوة ليشعر بالطمأنينة وأنها بجانبه.

دفا غريب بيلمسني في أحضاني صورتك في عيني تملي
عروسة في مكانك بقيت رافض اسيب الدنيا دي عشانك

استطاعت بصبرها وتحمّلها تطهير نفسه مما حملت ومداواة قلبه من جروحه التي عانى بسببها كثيرًا، ضمته لها أنسته الدنيا وما فيها، أنسته كل ما مر في حياته ولم يتبق له سواها.. هي فقط، «حور».. زوجته.

دفا غريب بيلمسني في أحضاني صورتك في عيني تملي
عروسة في مكانك بقيت رافض اسيب الدنيا دي عشانك

اعتدل في نومته بجانبها، أصبح قريبًا منها أكثر. ضمها لقلبه أكثر، تركت له نفسها معلنةً الاستسلام لقلب ذاق مرارة الوجع فلن

يقبل أن يذيقها تلك المرارة أبدًا. أخبرها أنها أصبحت مِلكه، مَلِكته وحوريته التي ستعيش معه في الجنتين، أعلن هذا اليوم أنها هدية من الله لما صبر، وكان نعم الجزاء فلم يذق في حياته شيئًا أحلى من ذلك. لم يرَ أحلى من «حور» في دنياه.

كان التوتر سيد الموقف، لم تشعر بنفسها إلا وهي تمر بشيء لم يكن وقته ولا أوانه. لم تدرِ ماذا تفعل أو ماذا تخبره، بدّلت ملابسها في الحمام الخاص بغرفة نومها وخرجت لتجده بدّل ملابسه وارتدى الملابس التي أحضرتها له وينظر لها بعين فرحة وملامح تعشقها. تحرك ناحيتها فهرولت ناحية السرير ودخلت أسفل الغطاء وقالت:

- متصحنيش بدري بقى.. سيبني آخد كفايتي في النوم.

نظر لها بحاجب أعلى من الآخر بقليل ثم قال:

- أنا بقالي نص ساعة مستنيكِ تغيري عشان تقولي لي هنام.

انتهى من كلماته وسحب الغطاء من عليها لتنتبه له، اعتدلت في جلستها ونظرت له ببراءة لا تناسب طبيعة تلك الليلة. قالت:

- أنا آسفة والله يا «مصطفى».. بس غصب عني.

شعر بشيء غريب، فجلس جانبها وقال بهدوء:

وهي لا تستطيع النظر في عينيه:

- والله يا حبيبي كنت حاسبة كل حاجة بالورقة والقلم بس معرفش إيه اللي حصل.

لم يفهم ما تقصد، ظهرت على ملامحه البلاهة، سكت لبرهة لتتكلم وتخبره عما يحدث، كانت علاقتهما رغم الشوق والحب الظاهر يغلب عليها الاحترام الزائد الذي لا يجدي بين الزوجين في ليلة كهذه، استطاع تجميع شتات أمره وقال:

- يا حبيبتي لو خايفة أو حاجة احنا ممكن نستنى لبكرة.. عادي يعني.

ضحكت رغمًا عنها وقالت وهي تحاول أن تأخذ جانبها من السرير:

- هتستني بس مش لبكرة.. هتستني كام يوم كدا.

هب واقفًا في مكانه وخرج منه صوت مازح بعض الشيء:

- نعم يختي! طب أقول لهم ايه بقى بكرة ان شاء الله.

وضعت رأسها أرضًا ولم ترد، جلس بجانبها وضمها إلى صدره وقال لها:

ولا يهمك يا حبيبتي دي ظروف وبتحصل يعني.. أنا بس اللي فقري.

وضع قبلة على جبينها وضمها لقلبه فنظرت له وسألته:

- يعني مش زعلان؟

أسكتها بقبلة طويلة أنستها كل شيء.. فكر أنها ستكون فرصة مناسبة لاجتياز الخجل بينهما في هذه الأيام قبل أن يصبحا شخصًا واحدًا بعد أيام.. ضمها إليه واقترب منها أكثر لتحس بأنفاسه الملتهبة تمر بجانب أذنيها وخصلات شعرها لتشعر بما يشبه... أحست بالذنب للحظة واحدة ثم أفاقت على قبلاته التي تذهب كل شيء إلى الجحيم وتعلنهما زوجين محبين بعضهما لبعض، قال فجأة ضاحكًا:

- تفتكري «مالك» و«حور» دلوقتي بيعملوا إيه؟

ضربته في كتفه وقالت:

- ملكش دعوة بحد..

ابتسم لها وقبّلها مرة أخيرة قبل أن يذهبا في سبات عميق.

***

في الصباح، استسلم «مصطفى» لعادات وتقاليد رفضها «مالك» وأوضح رفضه لها بشدة من أول يوم، بينما «مالك» و«حور» يستمتعان

بنوم عميق بعد ليلة طويلة ودافئة، كان والد ووالدة **«مصطفى»** يطرقان باب شقة ابنهما ليباركا له زواجه و يطمئنا عليه، **استيقظت** «هاجر» على صوت الباب فأسرعت إليهما. دخل الوالدان المنزل بعد أن تبادلا القبلات والأحضان مع العروس ودخلت **«هاجر»** لتوقظ زوجها، جلس الوالدان ينتظران ابنهما في الصالة بينما **«هاجر»** تحاول أن توقظ زوجها، تهزه يمينًا و يسارًا، نظر لها نظرة بلهاء قائلًا:

مش قلتِ يا بنتي سيبنا ننام براحتنا؟!

هزت كتفيها ثم قالت ضاحكة:

- أنا مالي يا عم اصحي مامتك وباباك بره.

هب **«مصطفى»** واقفًا فمالت عليه «هاجر» وتركت قبلة رقيقة على كتفه ونظرت لعينه وهو يرتدي ملابسه، ضحك **«مصطفى»** ثم قال:

- خلاص والله يا بنتي هستر عليكِ.

عقدت **«هاجر»** حاجبيها ثم قالت:

- نعم يا خويا.. خلاص قل لهم بقى وهيبقى منظرك انت اللي مش تمام.

- يا ستي ولا نقول ولا نعيد.. دي حياتنا وبتاعتنا لوحدنا.

خرجا معًا إلى منتظريهما في الصالة، جلس بجانب أبويه وجلست هي بجانبه، تحركت والدة «مصطفى» ناحية «هاجر» لتسألها بصوت خافت:

- كله تمام يا حبيبتي ولا الواد دا قصر في حاجة.

نظرت «هاجر» للأسفل خجلًا، ولتستطيع أن تداري ابتسامتها، خرج منها صوت ضعيف ورقيق وهي تقول:

- كله تمام يا ماما.

أطلقت والدة «مصطفى» عنان لسانها ليرتفع مزغردًا ليعرف والد «مصطفى» أن ابنه رفع رأسه وشرف نسل العائلة، ضحك «مصطفى» من ردة فعل والدته ونظرة والده له، غادر الأبوان المنزل ليتركا العروسين يستمتعان بعضهما ببعضٍ وليتجهزا لرحلة شهر العسل، وقف «مصطفى» و«هاجر» على باب الشقة يودعا والديه وفور أن أغلق الباب مد «مصطفى» يده ليحتجز «هاجر» خلف الباب. قالت:

- اعقل يا «مصطفى».

لم يلقِ لكلماتها بالًا وأخذ من شفتيها رحيقها ومن أنفاسها روحًا له، أخذ قبلة طويلة ليبدأ يومهما بلمحة تذيب حياتهما معًا وتطرد الخجل بعيدًا عنها. قبل أن تتجه «هاجر» إلى المطبخ لتقوم بتجهيز

الإفطار لزوجها سمعا صوت طرقات الباب فقال «مصطفى» في ضجر:

- مش هنخلص بقى!

سمع صوتًا مألوفًا على الباب ولم يكن يتوقعه:

- افتح يلا.

كان «مالك»، كان صديق عمره وشقيق زوجته الذي وهبه أغلى شيء في حياته، لم تصدق «هاجر» أذنيها، فتح «مصطفى» الباب ليرى «مالك» و«حور» وفي يد كلٍّ منهما لفة صغيرة ملفوفة بعناية، سلّم «مالك» على صديقه بينما «حور» احتضنت «هاجر» بحنان واضح، عبر «مالك» صديقه متجهًا إلى شقيقته وقبّل رأسها وضمها إلى صدره ليطمئن عليها. ضحك «مصطفى» وقال بصوتٍ عالٍ:

- متخافش يا خويا اختك تمام محصلهاش أي حاجة.

نظر «مالك» لزوجته بأن تأخذ «هاجر» وتدخل بها غرفتها، وسأل «مصطفى» عما حدث؛ فأخبره بكل شيء بينما كانت «هاجر» تحكي لـ «حور» عما حدث، فجأة ضحك كلٌّ منهما في مكانه، وقال «مالك»:

- طول عمرك فقر يا حبيبي.

بدأت «هاجر» تطمئن على «حور» بأسئلتها الكثيرة، حكت «حور» بدون أن تدخل في تفاصيل محرجة ما حدث، حكت لها عن الحب الذي أحسته في أحضان «مالك»، في الخارج كان «مصطفى» يخبر «مالك» أن يسبقه هو و«حور» إلى رحلة شهر العسل -التي كان من المقرر أن يذهبوا جميعًا إليها كلٌّ مع عروسه- وعند انتهاء تلك الظروف المفاجئة سوف يلحقان بهما، تفهّم «مالك» ما حدث وأجرى اتصالاته ليعدل كل شيء، ثم نادى على «حور» و«هاجر» وعندما أتيتا قال:

- حضّرولنا الفطار بقى.

ثم نظر إلى «مصطفى» وتابع بضحك:

- ولا انت شبعان يا حبيبي.

ضحك الجميع ثم دلفت الفتاتان إلى المطبخ ليعدا الطعام بينما خرج «مالك» و«مصطفى» إلى الشرفة ليفاجأ «مالك» بسؤال «مصطفى»:

- جت على بالك امبارح؟

نظر «مالك» إلى «مصطفى» معاتبًا إياه للتفكير في ذلك من الأساس، قال:

- ليه بتسأل السؤال دا يا «مصطفى»!

نظر «مصطفى» إلى الشارع ثم قال:

- علشان انا عارفك يا صاحبي.. انت ممكن تخبي عن الكل بس انا لأ... انت بتحاول تبين أنك عادي بس انت مش عاجبني من ساعة الفرح.. إوعى تظلم يا صاحبي.. «حور» بتحبك ومش هتستحمل أي صدمة منك.

بدت بعض علامات الضيق على وجه «مالك» وهو يجيبه:

- إيه اللي بتقوله دا يا «مصطفى».. «حور» بنت جميلة.. حبتني وعرفت تخرجني من الدايرة اللي كنت محبوس فيها، وهحاول اديها كل اللي فاضل فيّ.. ومينفعش أفكر ولو ثواني في حد تاني وهي موجودة.

وشرد بنظره بعيدًا ثم أكمل:

- اللي جرب طعم الظلم من حد حبه مش ممكن يظلم حد بيحبه يا «مصطفى»

أومأ «مصطفى» برأسه متفهمًا لكنه أراد أن يعلق بكلمة حيث لم يذكر «مالك» وهو يعدد مزايا «حور» أنه يحبها، ولكنه ذكر أنها هي من أحبته مما زاد من شكوكه تجاه مشاعر صديقه تجاه زوجته، ولكن أسكته صوت «هاجر» التي نادتهما تنبئهما أن الفطور أصبح جاهزًا.

دلف الصديقان إلى الداخل ليجلسا بجانب زوجتيهما ليتناولا الطعام معًا، أخبر «مصطفى» «هاجر» أنهما سيلحقان بـ«مالك» و«حور» بعد أيام قليلة فقالت «حور»:

- كان نفسي نكون سوا يا «هاجر» والله من أول يوم بس ان شاء الله تلحقونا ونقضي سوا يومين حلوين.

قال «مالك» مازحًا:

- والله هنرتاح منهم الكام يوم دول بلا قرف يا شيخة.

ضحك الجميع على ما قال، سند «مالك» ظهره إلى الخلف بعد أن انتهى من طعامه ثم أمسك هاتفه وبدأ يجري اتصالًا يؤكد على السائق الميعاد، نظر في ساعته فوجدها تقترب من الخامسة، شعر أن الوقت يداهمهما فنظر لـ«حور» ثم قال:

- مش يلا بينا بقى عندنا شنط عايزين نجهزها.

قالها وهو يغمز لها بعينه فضحك «مصطفى» ثم قال لصديقه:

- خد مراتك وروح روح يا عم.

عقب «مالك» وهو ناحية الباب:

- متتأخروش بقى.

أخذ «مالك» زوجته إلى بيتهما بينما جلس كلٌّ من «هاجر» و«مصطفى» في الشرفة يتابعان «مالك» و«حور» وهما يسيران معًا، سألت «هاجر»:

- تفتكر «مالك» نسي «مريم» فعلًا يا «مصطفى»؟

نظر لها نظرة خالية من كل شيء، لا يريد أن يقلقها على أخيها، سكت قليلًا ثم قال:

- أخوكِ قوي.. طالما قدر يبقى مع «حور» يبقى هيقدر يعدي كل حاجة.. متخافيش عليه طول ما هي جنبه ومعاه.

قالها وهو غير واثق فيما يقول..
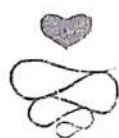
-٢-

-مرسى علم.. البحر الأحمر-

كانت تعلم أنه سيأخذها لمكان لن تنساه، أمام البحر تنسى نفسها بقدر ما تخافه، استطاع «**مالك**» من أول يوم رأته «**حور**» فيه أن يخطفها، فهل استطاعت هي بعد كل هذا الوقت وكل هذه المحاولات وكل هذا القرب أن تخطفه مما عاش ومن ماضيه الذي كان يحاصره، اعترف لها «**مالك**» بكل شيء اعترف لها بأنها دواؤه وأنها الوحيدة التي استطاعت أن تخرج ماضيه من داخله.

وصلت السيارة بهما إلى مرسى علم قبل الفجر بقليل، بعد أن انتهيا من رص ملابسهما في الجناح الخاص بهما في الفندق -والذي هو عبارة عن شاليه صغير من دور واحد على أطراف الفندق، ملحق بشاطئ خاص صغير لا يراه أحد يسمى جناح شهر العسل مخصص فقط للعرسان- أخذها «**مالك**» من يدها كي لا يفوتهما منظر الشروق، تحركا عابرين الرمال الفاصلة بين عشتهما المنعزلة وبين

الشط إلى أن لامست أقدامهما الماء، رجعت «حور» خطوة للوراء فضمها «مالك» من ظهرها وتحرك بها للأمام كأنه يخبرها ألا تخشى شيئًا في وجوده، جلسا أرضًا على الشاطئ متكِئة عليه يضمها هو بذراعه اليمنى، ينظر إلى موضع شروق الشمس في حين أن عينها غير مشغولة سوى بالنظر إليه غير مصدقة أنها الآن بين ذراعيه ليهمس هو في أذنها:

- عمرِك شوفتِ الشروق قبل كدا؟

- أنا مستنية الشروق دا من يوم ما عرفتك.

ضمها إليه وشاور بيده إلى الخيط الرفيع الذي يفصل الليل عن النهار، إلى تلك البقعة التي ستظهر منها الشمس، بدأ نورها يعلن عن حضورها، ثم ظهرت وأنارت الحياة، هذا كان حال كليهما.. «حور» والشمس، شاهدت معه الشروق ثم تحركا عائدين إلى جناحهما ليناما قليلًا بعد عناء الطريق وسفرهما الليل بطوله، نامت في أحضانه منتظرة استيقاظهما وبدء حياتهما معًا التي شهدت شروق شمسها منذ قليل.

عند الغروب استيقظت فلم تجده بجوارها.. ارتعبت.. نادته فلم تجد مجيبًا.. قامت من نومتها تبحث عنه في أرجاء الشاليه وعندما اقتربت من بابه الزجاجي أبصرت ضوءًا خافتًا قادمًا من

اتجاه شاطئ كوخهما الخاص؛ فارتدت روبها الذي كان ملقى على الأرض -نتيجة ما حدث بينهما صباحًا- وفتحت الباب لتسير تجاه الضوء لتكتشف ماهيته، لتجد منضدة صغيرة بكرسيين يعلوها العشاء ويضيء محيطها شموعٌ صغيرة، يجلس «مالك» شاردًا على أحد الكرسيين مواجهًا البحر منتظرها.. تبدلت مشاعر خوفها من غيابه لاطمئنان وارتعابها لهدوء وسكينة، وكست وجهها ذات الابتسامة الرقيقة التي تنير وجنتيها حتى أتته.. فاحتضنته من خلفه فانتبه.. فأخذ كفيها اللذين أحاطا وجهه وقبل راحتيها ثم أدارها حول المنضدة ليجلسها قبالته على كرسيها، ليشرعان في تناول عشائهما بفميهما ويتجرعان الحب بعيونهما، انتهيا من طعامهما ثم سحبها من يدها وتحرك بها ناحية البحر، وقفت على الشط ولم تتحرك فحملها بين ذراعيه وألقى بها في الماء ورائحة البحر تشبه رائحتهما وعبق شغفهما، يتبادلان النظرات في حبٍ ليقترب منها ويضمها.. وقفا معًا بوسط الموج يتبادلان قبلات طويلة وأحضان بحجم العالم وما فيه من قسوة بملابس مبتلة تنزل منها قطرات حبهما لتمزج ماء البحر بعبق حبهما.

- نفسك في إيه؟

قالت وهي تقترب منه:

- نفسي في إيه؟! نفسي متسبنيش.. إوعى تسيبني يا «**مالك**».

ضمها بذراعيه قائلًا:

- عمري ما هسيبك.

ثم ردد داخله شاردًا:

«أبدًا.. عمري ما هسيبك أبدًا».

صوت الهاتف يرن:

- ألو

- ......

- ألو.. ألو

ولا مجيب!

مرت ساعة على «حور» وهي في العمليات، شعر بقلق عليها ولكن كان الجميع يطمئنه، جاءت والدتها ووقفت بجانبه عندما شعرت بقلقه ثم قالت:

- متخافش يا حبيبي هي البكرية كدا.. متخافش هتخرج لك بالسلامة هي وبنتك

كان يتحرك ذهابًا وإيابًا ويملأه التوتر ويقف بجانبه الجميع، «مصطفى» ووالداه و«هاجر» ووالدة «حور». يحاول أن ينظر من باب الغرفة ليرى أي شيء يطمئنه ولكن لا شيء، طلب من «مصطفى» مصحفًا ليقرأ لها بعض آيات القرآن، أحضره بسرعة من طاقم التمريض وجلس «مالك» بجانب الغرفة التي فيها «حور» وبدأ يتلو آيات القرآن ليكون الله بجانبها ويخرجها له سالمة هي وابنته التي حلم بها كثيرًا وتمناها هي و«حور» في حضنه في أقرب وقت.

«مصطفى» ينظر له وبداخله مشاعر متضاربة.. تدور في رأسه ثلاث سنوات شاهدًا على علاقة صاحبه بـ«حور»، فتارة يخيل إليه كم هو يعشقها وتارة أخرى يشعر كأنه غصب عليه أن يتزوجها، والآن ها هو يموت من القلق عليها، وبدأت ذكرياتهما تنساب بين ذاكرته...

بدأ شهر العسل واستمر حبهما وشغفهما الواضح للجميع يزيد يومًا بعد يوم، تمشيا على الشاطئ العام قليلًا ثم صعدا إلى غرفتهما مرة أخرى، مرت الأيام سريعة ومبهجة على كلٍّ منهما، وبعد مرور أيام قليلة كان «مالك» و«حور» في انتظار قدوم «مصطفى» و«هاجر»، في الصباح استيقظ «مالك» على صوت طرقات على باب غرفته فتأكد أن الوحيد القادر على فعل هذه الحركة هو «مصطفى»، نهض مسرعًا

وارتدى ملابسه وخرج ليصافح صديقه وشقيقته بحرارة، طلب منهما أن يبدلا ملابسهما حتى يوقظ «حور» ويلحقان بهما إلى مطعم الفندق، اقترب «مالك» بهدوء من «حور» وسألها إن كانت تريد شيئًا فجاوبته بحب:

- مش عايزة غيرك انت.

قبّلها قبلة طويلة ثم نزلا معًا للقاء «مصطفى» و«هاجر»، عانقت «هاجر» «حور» بحرارة، تناولا إفطارهما ليبدأ يوم جديد في شهر العسل، كان «مالك» قد حجز لهم رحلة بحرية ليوم كامل ليقضوا اليوم على ظهر أحد اليخوت التي تقوم بهذه الرحلات بهذه المنطقة لمشاهدة الأماكن الساحرة وتناول الغداء على المركب، كانت سعادتهم لا توصف، خاصة بعد أن اطمأن «مالك» على أخته وأن علاقتها بزوجها تسير بشكل صحيح، مما أضفى شعورًا بالراحة لدى الجميع، مر يومهم سريعًا تخلله تناول الطعام وقام «مالك» و«مصطفى» بعمل Snorkeling واستمتعا بجمال الأسماك النادرة والشعاب المرجانية فيما شاهدتهما «حور» و«هاجر» من فوق سطح المركب وخافتا أن تنزلا للماء وسط سخرية «مصطفى» و«مالك» منهما.

بعد أن عادوا من رحلتهم البحرية إلى الفندق دخل كل زوجين إلى غرفتهما ولكن سريعًا ما ترك «مالك» «حور» تنتهي من ارتداء ملابسها وارتدى سروالًا رصاصيًا وقميصًا أسود وحذاءً رياضيًا ونزل إلى ساحة الفندق يسأل عن ترتيبات ما طلب، انتظرها وهو يراقب

إعداد كل شيء، ظهرت «حور» من خلف باب المصعد فذهب إليها مباشرةً وأخذ يدها بين ذراعه ثم تحرك بها للخارج، سارا قليلًا إلى أن وصلا إلى طريق زيّن بالأنوار المبهجة وهناك دراجتان كأنهما منتظرتان المتسابقين ليركباهما و يتحركا متسابقين فيما بينهما لتحديد الفائز، سألها وهو يقترب من أذنها:

- تعرفي تركبي عجل.

انفرجت أساريرها وظهرت الفرحة على ملامحها وقالت:

- بعرف جدًا.

ثم انطفأ وجهها مرة أخرى وهي تقول بلهجة طفولية:

- بس بابا وماما عمرهم ما خلوني اركبها من ساعة ما بدأت أكبر بحجة أني بقيت كبيرة ومينفعش اركب عجل بس انا بحب اركب عجل جدًا.

تحرك بخطوات مسرعة ووقف بجانب الدراجتين وانحنى بطريقة كلاسيكية وقال:

- اتفضلي يا فندم كل أحلامك أوامر.

لم تصدق أن مضمار السباق معد خصيصًا لسباقها معه وأنه يعرف هذه التفصيلة الصغيرة عنها، تحركت تجاهه وسألته:

- وعرفت ازاي؟

أجاب وهو يركب إحدى الدراجتين:

- أنا عرفت كل اللي نفسك فيه وهبدأ احققهولك طول ما احنا سوا.. مش انتِ بس يا ست هانم اللي بتعرفي تسعدي اللي بتحبيهم.

وقفت بجانبه وركبت الدراجة وقالت بحماس وتحدٍ:

- طب حاول تكسبني بقى لو عرفت.

وبدأ السباق بجنون «مالك» وحب «حور» له، لفتا أنظار الجميع إليهما وهما يتسابقان وتنطلق ضحكاتهما تنشر السعادة في قلبيهما وقلوب من في المكان، وقتها كان «مصطفى» و«هاجر» قد نزلا أيضًا، أنهيا تغيير ملابسهما ونزلا إلى ساحة الفندق ثم أثار فضولهما التجمع فخرجا ليشاهدا ما يحدث، ليفاجآ بأن هذا التجمع هو حول سباق «حور» و«مالك» فتبادل «مصطفى» مع زوجته ابتسامة رضا وقد أحب ما يفعله «مالك» لـ«حور» من أجل إسعادها، واستمر السباق تارة يتقدم «مالك» وحينها يجن جنون «حور» فتمسك بالدراجة بقوة وتدور عجلاتها بسرعة لتلحق به وتعبره إلى أن وصلا لخط النهاية لتفوز «حور» بالسباق، نزلا من على دراجتيهما وأعلنها «مالك» فائزة بالسباق، فقالت بمرح:

- كسبتك.

فقال بسخرية:

- كان لازم اسيبك في أول مرة تكسبيني.. لو عاوز اكسبك هكسبك بسهولة يا ماما.

قالت بعناد:

- لو كنت تقدر كنت كسبتني.

فأجابها:

- بحبك.

فلانت ملامحها هامسة بخجل:

- إذا كان كدا.. ماشي.

أما في المساء فجلسوا بجانب فريق صغير من عازف جيتار ومغنية يقومان بالعزف والغناء للجميع، غنت الفتاة بصوت مليء بالشجن «عانقيني.. عانقيني.. عانقيني»، وضع «مالك» يده حول «حور» بينما «هاجر» تنظر لـ«مصطفى» ليفعل المثل، استمرت الفتاة تاركة العنان لصوتها «ثم إيه.. ثم تبقى.. ثم ابقى.. ثم حلوة عينيكِ ليه؟»، نظر «مالك» إلى عين «حور» مباشرةً كأنه يسألها، دندنوا معهم الأغنية واستمروا يستمعون لها بإنصات.

تمر الأيام السعيدة عليهم مسرعة، اقترب شهر العسل على الانتهاء ولكن وجودهم بجانب من يحبون هي سعادتهم المطلقة، في اليوم الأخير استعد الجميع لرحلة سفاري يختمون بها إجازتهم حتى تظل في الذاكرة، تجمّع جميع أفراد الفريق، ارتدى كلٌّ منهم خوذته وركب كلٌّ منهم دراجته النارية وابتسامة الفتاتين على وجهيهما بسبب الأجواء التي لم تتخيلها إحداهما في حياتها، بدأت الرحلة والضحكات تنتشر بينهم، وروح السباق ظاهرة على الجميع.

ما زالت تلك البداية الرائعة، مر على زواجهما ثلاثة أشهر تسعون يومًا من المتعة الخالصة والحب الصافي بين «حور» التي حافظت على قلبها لـ«مالك» من كل شيء مرت به قبله، وما تبقى من «مالك».

يجلس «مالك» في شرفة منزله، ممسكًا بورقة وقلم وسارحًا في منظر السحاب الذي ملأ السماء منتظرًا زخات المطر التي لا تتأخر عليه في الهطول لتجبره على الدخول إلى جانب «حور»، يرسمها قدر المستطاع، شعر بأناملها على كتفه فأمسك بها وقبّلها ثم أجلسها على رجليه لتكون أقرب ما يكون له، تشعر بالبرد فيضمها، تشعر بالقلق عليه فيبتسم لها و يطمئنها.

سألته:

- بتعمل ايه بالورقة والقلم دول؟

قال:

- برسمك.

فأخذت الورقة لترى ما بها، كان أقرب إلى رسم طالب في ابتدائي، صورة بعيدة جدًا عن ملامحها ولكنها رأت الصدق فيها، وحبه لها وخوفه عليها، تركت قبلة على عنقه ليضمها أكثر، فجأة شعر بتوترها فسألها:

- ما لك؟

- شكلي خدت برد في معدتي بسبب تغيير الجو.

قام من مكانه وأدخلها إلى سريرها وهم بالتحرك إلى الخارج فسألته:

- رايح فين؟

- هنزل اجيب لك أي حاجة من الصيدلية.

ابتسمت له في حنان، فأعطاها ظهره وغادر مسرعًا مرتديًا رداءه الأسود ليتفادى به المطر، لم يتأخر، عاد سريعًا ثم دخل إلى المطبخ يحضر لها كوبًا من الشاي الساخن، وجلس بجانبها وأعطاها دواءها وجلس يسقيها بيده الشاي لتدفأ ولو قليلًا.

بدآ يسمعان صوت زخات المطر فأغلق الشرفة ودخل بجانبها في فراشهما، ينظر إلى السقف وهي تنظر له سائلة:

- ما لك يا حبيبي.. انت كويس؟

- متخافيش عليّ يا حبيبتي.. أنا كويس طول ما انتِ جنبي.

- أومال سرحان عني في إيه؟

اتسمت ملامحه بالجدية وهو يدير نظره تجاهها قائلًا:

- سرحان فيكِ انتِ يا «حور».

اعتدلت على جانبها وقد لفتت نظرها جديته ثم سألته:

- ازاي يعني سرحان فيّ وانا نايمة جنبك يا «مالك».. لو قلقان عليّ متقلقش يا حبيبي دول شوية برد وهير وحوا لحالهم.

لم يعتدل في نومته، وأعاد نظره إلى السقف وكأنه يرى شيئًا ما لم تره ثم قال ولكنته لم تغادرها الجدية:

- بفكر لو مكنتش لقيتك كانت حياتي هتفضل زي ما هي.. كل يوم بيعدي ببطء وكل يوم أسوأ من اللي قبله.. انتِ دخلتِ حياتي خليتِ ليها طعم ولون.. خلتيني قادر افرح من أول وجديد.. خلتيني ارجع اهتم تاني.. علشان كدا أي شوية تعب بيجيلك ببقى هموت من القلق عليكِ.. خليكِ جنبي يا

«حور» اوعي تبعدي عني.. أنا من غيرك هموت.

ضمته وهي تجاوبه بسرعة:

- يا حبيبي يا «مالك».. بعد الشر عليك ربنا يجعل يومي قبل يومك.. أنا اللي هموت لو انت بعدت عني.

ثم ضمته أكثر فاعتدل في نومته ونظر لعينيها مباشرةً وقال:

- بعد الشر عليكِ يا حبيبتي.. عارفة يا «حور».. أنا كنت بطلت كل حاجة.. بطلت أفكر، بطلت اهتم، بطلت حتى ابص في المرايا.. رديتِ فيا الحياة من جديد.

تحبه، ترى فيه رجلها وأمانها، قالت وهي تضمه أكثر إلى قلبها:

- بحبك وعمري ما هبعد عنك أبدًا وعمري ما هسمح ترجع تاني زي زمان.

استغل «مصطفى» عدم وجود «حور» مع «هاجر» وطلب منها أن تتهيأ ليأخذها لزيارة الطبيب، قامت «هاجر» باديًا عليها الارتباك. سألها:

- ما لك؟

- خايفة.

سار بجانبها إلى غرفتها، طمأنها وأخبرها أنه بجانبها ولن يتركها كما يفعل دومًا، وقف بجانبها وهي تغير ملابسها. بدّل ملابسه هو الآخر وتحركا معًا إلى الطبيب. في الطريق تجنبا الحديث عن أي شيء سوى حلمهما الذي بدا الآن ظاهرًا أمامهما، يحمل يدها بذراعه، وصلا إلى العيادة، دلفا إلى الداخل في انتظار دورهما. تنظر «هاجر» إلى النساء الحوامل بخوف، بينما «مصطفى» يربت على يدها ويطمئنها، جاء دورهما، دخل «مصطفى» معها ليكون بجانبها، استلقت «هاجر» على السرير وبدأت الطبيبة في الكشف وإلقاء بعض الأسئلة عليها:

- بقالكوا قد إيه متجوزين؟

- مش كتير يا دكتورة.. تلات شهور.

- خدتِ موانع الفترة اللي فاتت؟

أجاب «مصطفى» على السؤال:

- خالص يا دكتورة احنا بس سألنا أصحابنا لو حابين نأجل الخلفة شوية من غير موانع ونصحونا بشوية حاجات طبيعية كدا وماشيين عليها بانتظام

قاطعت «هاجر» حديثهما:

- خير يا دكتورة فيه حاجة.

ابتسمت الطبيبة لها وأجابتها:

- لا يا حبيبتي دي أسئلة طبيعية لازم اعرف إجابتها وانا بكشف عليكِ.

انتهت الطبيبة من الكشف عليها، لم تجد بها ما يمنع حدوث حمل، نصحتها بعض النصائح التي إن أخذت بها سيحدث الحمل بإذن الله، خرجا من العيادة فرحين بما أخبرتهما الطبيبة، قرر «مصطفى» أن يدخلا سينما ليغيرا من حالتهما المزاجية، ركبا السيارة، اتجها إلى السينما وعندها توقف، سألها:

- تحبي تدخلي فيلم إيه؟

فرحت لاهتمامه بالتخفيف عنها وعن قلقها، دخلا إلى السينما ووقفا أمام بوسترات الأفلام وبدأت المقارنة بينهم، كانت تريد أن تدخل فيلمًا كوميديًا وهو مصمم على فيلم رومانسي يذكرهما بشهر عسلهما، رضخ لاختيارها وحجز لهما تذكرتين من الفيلم الكوميدي الذي سيبدأ بعد ساعة، قرر الجلوس في الكافيه الخاص بالسينما لشرب شيء ما في انتظار الفيلم، جلسا معًا وبدأ حديثهما عن «مالك» وقلقهما عليه، سألها «مصطفى»:

- «حور» متكلمتش خالص معاكِ عن «مالك»؟

نظرت متسائلة عن سبب سؤاله القلق الواضح فتابع:

- حاسس ان «مالك» لسة منسيش «مريم» وخايف أوي على «حور».

قالت:

- ليه بتقول كدا؟

- معرفش ليه بس مجرد إحساس.

زاد قلقها على أخيها، قررت أن تجلس معه قريبًا وتتحدث معه، أو تحاول الاطمئنان على علاقته بـ«حور» من «حور» نفسها بشكل غير مباشر، مر الوقت سريعًا ودخلا معًا إلى قاعة السينما وجلسا يشاهدان الفيلم، ضحكا معًا من قلبيهما تاركين كل شيء وراءهما لا يعبآن إلا بشيء واحد هو أن يسعدا معًا و يقضيا وقتًا ممتعًا، بالفعل استطاع «مصطفى» أن ينتشل «هاجر» من كل مخاوفها و يطمئنها، استطاع أن يثبت لها كل يوم أنه حقًا يحبها.

-٣-

كان المنظر جميلًا، ترتجف له المشاعر فرحًا، ترتاح عينك للنظر إلى كل شيء تم إعداده وتهيئته لهذا اليوم المنشود، النيل، تلك المياه التي تعطينا الحياة الآن تحمل اليخت الذي سيقام عليه الفرح، كانت الورود تملأ المكان، والمزيكا تمر بين المدعوّين برقة وسلاسة، كانت الابتسامات والضحكات منتشرة على وجوه الجميع منتظرين العريس والعروس.

كان «تامر» قد قرر أن يكون فرحه لم يشهد مثله أحد ممن يعرفونه من قبل، قام بحجز يخت كبير سياحي في النيل ليقام عليه مراسم فرحه الذي اهتم أن يجعله نهاريًا؛ ليسافر بعدها مباشرةً إلى باريس ليقضي شهر العسل مع زوجته ومحبوبته «مريم».

كان «تامر» يفعل لها كل ما تتمنى، ضمن لها حياة كريمة وفرصة كبيرة لتندمج في مستويات المجتمع الراقي، لم تخبره أنها ارتبطت

قبل ذلك، قررت أن تنسى «مالك» الذي لن يحقق لها كل ما تأمل بسبب ضعف إمكانياته المادية، تعلم أن لديها مشاكل قد تمنعها من الخلفة، و«مالك» لن يستطيع أن يوفر لها تكاليف العلاج لتصبح أمًا وهو الذي كان زاهدًا في كل شيء إلاها، تعلم أنه لن يحبها أحد مثل «مالك» ولكن لا بد لها أن تنسى، «تامر» شاب وسيم ويحبها أيضًا وسيوفر لها كل ما تطمح إليه، لكنها قررت ألا تخبره بحقيقة مرضها حتى لا تفقده فشاب مثل هذا كما يقولون ألف بنت تتمناه، وتستطيع بعد الزواج أن توهمه بأنها تفاجأت بأمر مرضها وبالتأكيد هو لن يتركها فهو بالفعل أحبها وقرر أن يرتبط بها رسميًا، وها هي الآن وبعد ساعات ستصير زوجته.

فجأة ظهر لانش صغير وسط النيل يحمل العروسين، يقترب بسرعة من اليخت ويعلو صوت المزيكا بين الجميع، صعد «تامر» و«مريم» على متن اليخت وبدأ الجميع بالالتفاف حولهما والمباركة لهما، كان «تامر» أنيقًا وسيمًا، قبّل يد والده ووالدته بينما «مريم» توزع ابتساماتها الهادئة على الجميع تداري خوفها وقلقها من ظهور أي شيء يعكر صفو اليوم، وقف العريس والعروس بين الجميع لالتقاط الصور التذكارية، ثم انفرد «تامر» بها ليرقص معها على المزيكا التي اختارها خصيصًا لها. كانت الفرحة ظاهرة على ملامح «مريم»، فهي أخيرًا تزوجت من ستستطيع أن تصبح معه أمًا، أصبحت الآن المعادلة متكافئة من وجهة

نظرها، كانت «مريم» مع صديقاتها يرقصن على الأغاني التي تملأ المكان، بينما «تامر» يسير بجانب والده ليصافح المدعوّين، مر اليوم سريعًا عليهم تخلله بعض المفاجآت من «تامر» لعروسه، كان فستانها جميلًا، وشعرها حرًا طليقًا يمر الهواء بداخله، كانت الأجواء مبهجة والسعادة تغمر الجميع، انتهى الفرح سريعًا بتوديع العروسين لأهلهما ومصافحة الأصدقاء وتبادل القبلات والأحضان، أخذ «تامر» عروسه داخل سيارته واتجه بها إلى المطار، كان كل شيء يسير بطريقة طبيعية كما أعده «تامر» من قبل.

وصلا إلى باريس ونزلا في الفندق الذي حجز لهما فيه والد «تامر»، وبدأت «مريم» حياة جديدة، حياة ليس بها «مالك» ومشاكله وظروفه، حياة تملأها السعادة مع زوج يحبها بصدق ويستطيع أن تحقق معه كل ما تتمنى.

فتح الباب ودخل المنزل بهدوء، وما إن تقدم خطوات قليلة سمع صوتًا رقيقًا يتلو آيات قرآنية، استرق السمع ليميز اتجاه الصوت فوجده يخرج من غرفة نومه، استغرب لأنه لم يضع التلفاز بداخل غرفته فتقدم بخطوات ثابتة، ثم فتح الباب ليجد زوجته مُمسكة بمصحف في يدها ومرتدية إسدال الصلاة، فابتسم لها فصدّقت مبتسمة له قائلة:

- جيت بدري يعني النهار دا؟!

اقترب منها فشعرت برائحته تقترب معه أكثر ثم وضع قبلة على رأسها ثم قال:

- مفيش خلصت شغلي بدري.

رفعت حاجبها متعجبة ثم أردفت قائلةً بعد أن أجلسته بجانبها كطفلها:

- انت مش قايلي إنك هتخرج مع اصحابك النهار دا رايحين فرح؟

- الفرح باظ.. تقريبًا أهل العريس والعروسة اختلفوا على حاجة فالجوازة باظت.

صعقت لما سمعت، تتخيل إحساس العروس في يوم كهذا، ممكن أن تنهي الاختلافات زواجًا ما، لكن يوم الزفاف فهذا حدث صعب تصديقه، شعر بحزنها علي أناس لم تعرفهم فربت على يدها وطبع قبلة على اليد الأخرى الممسكة بالمصحف، فربتت هي الأخرى على شعره قائلة:

- يلا قوم اتوضى عشان تصلي بيا، مانا مش هاخد ثواب القرآن لوحدي.

ضمها بحنان وهمس في أذنها بحبك فردتها له بهمس، ثم توضأ ليؤمها في الصلاة، شرعا في الصلاة فدعت له كثيرًا ودعا لها أكثر، دعا الله أن يعطيهما حاجتهما ويرزقهما بالطفل الذي تمنياه، فهو يُحبها ويريد أن يحظى بطفل منها، انتهى من صلاته ثم بدأ تسابيحه وانتهى منها على يدها ثم قال:

- يلا بقى عشان أكسبك ماتش بلايستيشن.

كشرت عن أنيابها قائلة في حماس:

- دا بعدك انا اللي هكسب.

أحضر اللاب توب ووصل كابلات الدراعات وفتح اللعبة وجلس ينتظرها تأتي بجانبه، بدّلت ملابسها وخلعت عنها إسدالها لتجلس بجانبه بملابس منزلية أنيقة، أعطاها جهاز تحكمها لتختار ما تريد من الفرق لتلعب بها، بدأت المباراة وكلما أحرز «مصطفى» هدفًا فيها تذمرت وصرخت فيه بأنه يغش، سألها ضاحكًا:

- بغش ازاي يعني يا حبيبتي هكون مدي الحكم فلوس مثلًا.

نظرت له بعين جامدة:

- مش بعيدة عليك.. مانت كل مرة تكسبني ودي حاجة غريبة بصراحة.

قرر في نفسه أن يخسر لها هذه المباراة، استمر اللعب وبدأ يتهاون معها لتسجل هدف التعادل لتغمر الفرحة المكان، أجلسها مرة أخرى بعد أن زاد هرجها ومرجها احتفالًا بالهدف الذي لا تعلم أنه تركها تسجله، جلست بجانبه مرة أخرى واستمر لعبهما إلى أن قامت مسرعة من جانبه ذاهبة إلى الحمام لتخرج ما في معدتها دون أي مقدمات، تحرك وراءها مسرعًا وظل بجانبها إلى أن انتهت، سألها عما بها فقالت:

- معرفش يا حبيبي ممكن يكون برد في المعدة.

عادت مرة أخرى لتتابع المباراة التي انتهت بهزيمته لصالحها حتى تشعر بالسعادة إلى النهاية، استمرت «هاجر» في هذه الحالة لأكثر من يوم من التقيؤ وتغير المزاج، فطلب منها أن يأخذها للطبيبة، استجابت له بعد محاولات كثيرة كان آخرها وهو يخبرها أنه لا بد من الاطمئنان عليها لأنها وارد أن تكون حاملًا بعد إرشادات الطبيبة لها في آخر زيارة، وصلا إلى الطبيبة التي أخبرتهما بالخبر الذي تمنياه دائمًا:

- مبروك.. المدام حامل.

سرت الفرحة داخلهما كشعاع أمل تنبئهما بحياة كاملة السعادة، ضمها لقلبه وغادرا العيادة فرحين بما سمعا، قرر أن يخرجا لمكان بعيد هذه المرة، ركب سيارته وظل يسير بها كثيرًا إلى أن وصل لكافيه

على أطراف المدينة، نزل وتحرك مسرعًا ليفتح لها باب السيارة لتنزل منه كالأميرات، حمل يدها بذراعه ودلف بها داخل الكافيه، اختار الطاولة بعناية ثم تحرك برفقتها وسحب كرسيًا لها لتجلس، كانت الفرحة واضحة في ملامحهما بخبر حملها. كان الخوف والقلق يسيطر عليها، جلس أمامها وبدأ يتكلم معها في كل شيء ليطمئنها، أخبرها أن مستواها في لعب البلايستيشن أصبح ممتازًا وهذا أمر لا بد أن تفرح به فردت:

- بلايستيشن إيه دلوقتي يا «مصطفى» انا خايفة فعلًا.

أخذ يدها وترك عليها قبلة طويلة لتهدأ ثم قال:

- والله حاسس بيكِ يا حبيبتي بس بحاول اغير الموضوع عشان القلق دا يخف شوية.. ها بقى تحبي نتعشى إيه؟

طلبا طعامهما وجلسا يتناولان الطعام معًا، سألها:

- لما صاحبتك كانت حامل كانت بتشتكي من حاجة؟

تركت الشوكة والسكين من يدها ثم قالت:

- أبدًا.. حملها كان ماشي طبيعي جدًا.. سبب وفاتها يا «مصطفى» كان مفاجئ وفي نفس الوقت طبيعي جدًا ممكن يحصل لأي واحدة وهي بتولد.

تسرب الخوف لقلب «مصطفى» الذي استعاد قواه سريعًا مرة أخرى، أخرج من جيبه قلم حبر واقترب منها وأمسك يدها، ثم رسم بها قلبًا صغيرًا على كفِّها، فنظرت له نظرة طفولية تفيد بأنها لم تفهم، فطبع قبلة على يدها ثم قال:

- ليكِ.

اتسعت عيناها! وارتفع حاجباها عن آخرهما، ثم قالت ببراءة طفولية:

- مش فاهمة؟

قام من على الكرسي المقابل لها، وجلس على الآخر المجاور لها، واقترب من أنفاسها أكثر، ووضع قبلة على كتفها ثم قال:

- دا قلبي، وهو ليكِ... وحياتي كلها يا «هاجر» بقت ملكك من يوم ما اتجوزنا.

ارتسمت بوادر الفرحة على وجهها، نست الحزن ولو لثوانٍ ثم دمعت عينها، فالتقط دمعتها براحته ثم قال:

- استأمنتيني على قلبك وحياتك، أنا هستخسر فيكِ قلبي؟

مسحت يده المبللة بدمعتها، وتركت له مكانها قبلة لعله يعلم ما سبَّبَه داخلها من فوضى مبهجة، وحياة رائعة بمجرد أن أصبح شريكًا لها بهذه الحياة.

مر الكثير من الوقت على «حور» بداخل غرفة العمليات و«مالك» مستمر في قراءة القرآن ولم يتوقف، تسرب القلق داخل الجميع، تكون أول ولادة صعبة ولكن كل هذا التأخير أصابهم بالذعر والقلق لكنهم يحاولون التماسك أمامه، هب «مالك» واقفًا كأن شيئًا أصابه، كأن أحدهم اعتصر قلبه من مكانه. بدأ ينظر للجميع بعين مليئة بالدموع، عين زائغة لا ترى بوضوح ما يحدث.

-٤-

كانت تفكر في شيئين مختلفين، أولهما أن تخبره عن شكوكها وتشاركه كل لحظة من أولها لآخرها، لحظات انتظراها معًا لثلاث سنوات، ثلاث سنوات وهي تحلم بطفل أو طفلة من «مالك» تحمل جيناتهما معًا وتحمل أيضًا حبهما لبعضهما البعض، الحب الذي واجهه الكثير من العقبات والصعوبات ليس فقط قبل الزواج ولكن حتى خلال مدة زواجها في الثلاث سنوات السابقات، ثانيهما أن تعرف كل شيء بدونه ثم تفاجئه بعد أن تتأكد من كل شيء، لم تستطع أن تخفي عنه شيئًا، لم تستطع أن تحرمه من تلك الفرحة التي كانت تشك فيها رغم وضوح كل شيء منذ أيام.

أمسكت الهاتف واتصلت به، أجابها فور سماع الهاتف، فقالت:

- أنا هعدي عليك النهار دا قبل ما تقفل عشان عندنا مشوار مهم.

سألها عن ماهية المشوار فلم تجبه، فقط أخبرته أن ينتظرها، ظل جالسًا في عمله يفكر فيما حدث وفي المشوار الذي تريده معها فيه، مرت الساعات ببطء شديد عليه إلى أن وجدها في أبهى صورها أمامه تقول في دلال:

- وحشتني.

لم يرد عليها كلمتها، لم يعد كما كان في أول زواجهما يستغل كل فرصة والثانية ليخبرها كم يحبها وكم أوحشته، كان دائمًا ما يسبقها بكلمات الحب وتكون هي مجرد الرد.. لم تكن اعتادت ذلك منه ولكنها لم ترد أن تفسد اللحظة فنظرت لعينيه مباشرةً وقالت:

- بحبك.. بحب الصدفة والظروف اللي جمعتنا سوا.

اكتفى بأن وضع على رأسها قبلة بابتسامة فبادلته ابتسامة لا تخلو من الحب ثم تحركت إلى خارج مكان العمل فتبعها، سألها:

- مشوار ايه دا بقى؟

- هتعرف لما نوصل.

بدأ يظهر عليه الضجر ولكن تمالك نفسه وسألها:

- طب عرفيني عشان اعرف هنركب ايه حتى.

نظرت له وهي تحاول أن ترسم علامات الجد على ملامحها وقالت:

- طب أنجـچني كدا ولا امسك إيدي حتى بدل ما انت محسسني انك ماشي جمب واحد صاحبك.

حمل «مالك» ذراعها بيده ونظر لها مندهشًا، ولكنه لم يتكلم، سار معها دون أن يسأل عن أي شيء وهي بعد كل فترة قصيرة تخبره بالاتجاه الذي سيسيران فيه، كل حينٍ ينظر في ساعة يده تارة وتارة أخرى في ساعة الموبايل، لديه موعد اليوم يوتره كثيرًا وها هي «حور» تزيد توتره وكأنها تعرف موعده هذا وتأبى عليه أن يذهب، وقفت مرة واحدة وأشارت بيدها لعمارة أطباء وأخبرته أنهما سيدخلان فانتبه، سألها:

- ما لك يا حبيبتي انتِ كويسة؟

- آه يا حبيبي انا تمام.. حسيت بس بشوية تعب وشكيت أن يكون فيه حاجة كدا فرايحين نطمن يا بابا.

بدأت ملامحه تتحول إلى القلق الذي سريعًا ما بدا واضحًا عليه فسألها:

- تعب ايه يا حبيبتي.

وضعت يدها على بطنها ثم ابتسمت ابتسامة لم يفهمها، قالت:

- شكل كدا هيكون جوايا حتة منك، تطلع عيني زيك واخاف عليها زي ما بخاف عليك.

نظر لها بعين بلهاء لا تفهم شيئًا، ثم قال:

- بتتكلمي بجد؟ طب ازاي.. معقول؟!

لم ترد، أمسكته من يده ودخلت به العمارة ثم إلى المصعد وهو غير مصدق ولم ينطق بكلمة واحدة، دخلا العيادة، وجداها ممتلئة بالنسوة الحوامل فحاول أن يحجز لها لكنها كانت قد حجزت بالفعل بالهاتف قبل أن تأتي، وجلس بجانبها دون أن يتكلم، طوال فترة الانتظار لم يترك يدها لثانية واحدة، أسئلة كثيرة تدور بباله ولكن لسانه أُلجِم فلم ينطق.. أراد أن يسألها كيف حدث ذلك وهما اللذان قد دارا على عيادات الدكاترة حتى فقدا الأمل في الحل الطبي وقررا أن يعتزلا الدكاترة ويسلما أمرهما لله، هل بالفعل آن الأوان.. ولم الآن بالذات... يا الله... يريد أن يتأكد أنه لا يحلم وأنها حقيقة ويدعو الله أن يكون شكها في محله وأنها تحمل بداخلها ابنته التي طالما تمناها.

جاء دورهما، دلفت «حور» إلى غرفة الكشف ومعها «مالك»، استلقت على السرير وتحركت الطبيبة ناحيتها وبدأت الكشف عليها و«مالك» يراقب كل شيء، يراقب حركات الطبيبة ورد فعلها على كل شيء تراه في الجهاز الذي أمامها. ابتسمت الطبيبة، فرت دمعة من عين «مالك» والطبيبة تخبره أنه سيكون أبًا بعد أقل من سبعة أشهر، لم يشعر بنفسه إلا وهو يحتضن زوجته التي لا تفعل أي

شيء منذ أن رأته إلا أن تسعده، قبّلها وقبّل يديها غير مبالٍ بالطبيبة التي تبتسم لسعادته، أخذها وذهب بها إلى المنزل غير مصدق ما سمع، نسي نفسه ونسى موعده وأغلق هاتفه الذي ظل يرن برقم يعرفه جيدًا مؤخرًا، لا يصدق أنه سيصبح أبًا لكائن صغير يأخذ منه ومن «حور» الكثير.

انتبه «مالك» فجأة للممرضة التي خرجت مسرعة من غرفة العمليات ثم لم تمر ثوانٍ وعادت مرة أخرى تحمل في يدها أدوات طبية، زاد قلق الموجودين على «حور» وعلى جنينها، حاولوا سؤال الممرضة ولكنها دخلت مرة أخرى مسرعة ولم تجب أحدًا.

مرت أيام شهر العسل سريعًا كأي عروسين، النهار في الخروجات والفسح والتبضع والليل معًا في غرفة واحدة يتقاسمان سريرًا واحدًا ينعمان بعضهما ببعض، انتهت الإجازة سريعًا وعادا إلى مصر لتسير حياتهما بشكل طبيعي.

مر شهر وراء الآخر ولم يكن هناك حمل كما توقعت «مريم» بسبب علمها بحالتها، بعد مرور عام بدأ القلق يدب في قلب «تامر» أيضًا فبدأت تطلب منه اللجوء إلى الجانب الطبي لمعرفة ما بها قبل أن يزداد عمرها ولا تستطيع، سمع كلامها وبدأ الكشف عليها عند

أكبر أطباء النساء والتوليد في مصر ولكن لم يستطع أحد منهم مساعدتها، الحالة صعبة جدًا وتحتاج السفر للخارج، في الحقيقة لم يبخل عليها «تامر» بأي شيء منذ أن تزوجها إلى أن بدأ رحلة العلاج المكثفة لتصبح حاملًا منه، كان يحبها، كان يرى فيها كل ما يريد، حجز عند طبيب أجنبي وأعد كل شيء للسفر مرة أخرى للعلاج، حاول معها بكل الطرق ولكن كل من رآها أخبرهما أن حالتها صعبة وميئوس منها ولن تستطيع الإنجاب بأمان، فالخلفة معناها خطر على حياتها، وكان هذا الأمر مرفوضًا حتى التفكير في المجازفة به من كليهما، عادا إلى مصر خائبي الرجاء منكسي الرؤوس بسبب ما سمعا، كان حبها في قلب «تامر» قد بدأ يزيد لكن سلطة والده ووالدته عليه كانت أقوى، لا تريد أن تقول لنفسها أن الله يعاقبها لما فعلت بـ«مالك»، وأنه هو الوحيد الذي قبلها بما فيها وهي التي رفضته سعيًا وراء أمل زائف.

حملها بين ذراعيه وطبق ما يراه في التلفاز منذ صغره، أخبرها ألا تفارق السرير طيلة فترة الحمل، سألها عما تريد أن تأكل فأجلسته بجانبها وقبّلت يده لما رأته من حنان وسعادة واضحة على ملامحه، قالت:

- يا حبيبي متخافش عليّ.. أنا هتابع مع الدكتورة طول الوقت ولو احتجت راحة هكون أول واحدة حريصة على دا.. عشان البيبي يا حبيبي يخرج للدنيا بألف خير.

كان قد اتصل بعائلته الصغيرة وأخبرهم بما حدث، بعد وصولهما بدقائق قليلة تبعهما «مصطفى» و«هاجر»، توأمهما الذي لا يفارقهما في شيء، و«مصطفى» يحمل ابنهما سيف ذا السنتين ووالدة «حور» التي حضرت بسرعة لتكون بجانب ابنتها وتشاركها فرحتها.

كانت فرحة الجميع بخبر حمل «حور» حقيقية وصادقة، هنا الجميع «مالك» و«حور»، ظلوا برفقتهما حتى الصباح عندما أصر «مالك» على مبيتهم معهما عندما تأخر الوقت، كان يومًا لن ينسى من حياتهم جميعًا، كان «مالك» يقصد وجودهم بجانبه في هذه الأحداث ليروا الفرحة الحقيقية على محياه ليصدقوا أنه أصبح بخير وأن «حور» الوحيدة التي استطاعت أن تجعله يحيا من جديد، أو ربما أراد أن يوصل إليهم ذلك.

«مصطفى» هو من شعر أن «مالك» هذه الليلة غير... يرى صديقه يحن على زوجته بحق.. يرى فيه مشاهد حب حقيقية وفرحة واضحة من القلب لم يرها فيه من قبل، مشاعر غير تمثيلية مثلما رأى من صاحبه خلال السنوات السابقة... السنوات المشحونة التي غمرته فيها «حور» بحبها وتحملت منه جفاءً في بعض الأوقات

وبرودًا في أوقاتٍ أخرى ومظاهر حب كثيرًا ما تراها حقيقية وأحيانًا تكون تمثيلية واضحة، خصوصًا بعد تأخر حملها ورؤية «مالك» لأخته وصديقه وهما ينعمان بطفلهما بعد عام واحد من زواجهما... لم يدر «مصطفى».إن كان «مالك» بالفعل حزينًا لعدم حصوله على الطفل الذي يتمناه بشكل عام أم لأن «حور» لم تعطه السعادة الكاملة من وجهة نظره -التي يرى «مالك» اكتمالها في حقه أن يصبح أبًا- وهي التي لم تتوان عن فعل أي شيء لتجعله سعيدًا وتنسيه الماضي وحبه القديم أو على الأصح جرحه القديم، أما موضوع الحمل هذا فلم يكن بيديها قط ولم يكن لها دخل فيه...

كل هذا كان يحدث أمام صديقه الذي يعرف أن «مالك» رجل شهم ولا يخدع ولا يخون ولا يظلم ولكنه كان يخشى من ضعف «مالك» تجاه الحب، وهو الذي مارس كل طقوس الحب مع «حور» ولكنه قط لم يحبها مثلما أحب «مريم» حبيبته السابقة.

في الصباح غادر الجميع إلى منازلهم بينما دخل «مالك» المطبخ ليحضر الفطور لزوجته، كانت «حور» لا تزال نائمة عندما دخل عليها «مالك» بالطعام، سعادة لا توصف وهي ترى كل هذا الحنان من شريك حياتها الذي لم تكن تصدق أنه سيعود حنونًا مرة أخرى، تشعر به «مالك» الذي عرفته أول أيام زواجهما، «مالك» الذي

يسعى لراحتها ويعاملها بحب وحنان حقيقيين، جلسا معًا وتناولا الإفطار، أطعمها بيده، بعد أن أنهيا إفطارهما ذهب «مالك» بعد أن ارتدى ملابسه لعمله وسألها إن كانت تريد شيئًا فقالت ووجهها تملأه السعادة:

- مش عاوزة غير إني اشوفك جنبي دايمًا.

طبع على جبينها قبلة ورحل وهو يوصيها على سلامتها وسلامة ما تحمل بداخلها، خرج «مالك» ليباشر عمله تاركًا وراءه من استطاعت أن تنير حياته بعد ظلمتها.

وما زال هاتفه يرن منذ أن أعاد تشغيله صباحًا..

أصبح «مالك» لا يسمع أيًّا منهم ولا يرى أي شيء إلاها، يقرأ في المصحف بنهم كأنه يطلب شيئًا ما بمنتهى القوة. تذرف عيناه الدموع دون سبب، لا يعلم ما حدث لكن قلبه يعصره الألم، يحدث نفسه هل خوفه على «حور» خوفًا عاديًا منطقيًا على زوجته التي تأخرت في غرفة العمليات أم بسبب تـأنيب ضميره تجاه معاملته لها طوال السنين الماضية، هل ظلمها بزواجه منها وقلبه ما زال معلقًا بغيرها، ترى هل عرفت شيئًا عن المكالمات التي تأتيه من حين لآخر، يدور في دوامة صراعات نفسية.. يجلد نفسه.. يدعو الله أن تقوم له بخير

لتنير حياته ويقطع وعدًا أن يحسن معاملتها ويقدر حبها، لا.. سيحبها حقًا من قلبه.. هي من تستحق حبه وليس.. وليس «مريم».

هنا عادت إليه سوءة ما فعل..

أحضرت الإفطار ودلفت غرفة والدتها لتشاركها طعامها، وضعته على الطاولة بجانب السرير وبدأت في إيقاظ والدتها ولكنها لم تجب، اقتربت منها لتسمعها ولكن دون جدوى، هزتها هزة خفيفة لتستيقظ لكن دون رد.

ارتجفت، شعرت بخوف كبير عليها فطلبت الطبيب الذي حضر مسرعًا، دخل مباشرةً وبدأ الكشف عليها ثم أخبرها بضرورة نقلها إلى المستشفى، حضرت سيارة الإسعاف ونقلتها برفقة ابنتها إلى المستشفى، ذبحة صدرية حادة.

تجلس «مريم» خارج العناية المركزة التي حذرها الطبيب من دخولها بدون إذنه، تمسك المصحف وتقرأ القرآن، تدعو الله أن ينجي لها والدتها، فهي من تبقى لها بعد كل هذه الصراعات والدوامات التي بالكاد خرجت منها سليمة... على الأقل أمام الناس.

طال الانتظار، كل فترة يدخل الطبيب ليتابع الحالة ويخرج يعطيها بعضًا مما تريد سماعه ويحجب عنها البعض مع منعها من

الدخول إليها، وجدت «مريم» نفسها وحيدة ولا تستطيع تحمل ما يجري بمفردها، لم تعتد على هذه الوحدة قط، كان هناك من هو دومًا بجانبها منذ نعومة أظفارها.

قبل مرور يومين أخبرها الطبيب أن الحالة أصبحت متدهورة وأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، وقفت تتابع حالة والدتها وتنظر لها من خلف الزجاج وهي تبكي بحرقة على والدتها التي دومًا ما كانت معها في كل شيء.

لم تستطع تحمل ما يجري، أخرجت هاتفها وقررت الاتصال بطليقها، جرس طويل دون رد، لم تفعل ذلك من قبل، لم تتصل به ولا مرة من بعد انفصالهما، ولكن الآن ماذا تفعل، فهو كان زوجها ومن الطبيعي أن يساندها في هذا الموقف، كررت الاتصال ولكن دون رد، لا تستطيع تحمّل ما يحدث، أرسلت له رسالة على الـwhats App لاحظت أنه قرأ الرسالة ولم يرد، لا تدري ماذا تفعل، هذا هو زوجها، معلوماته خاطئة عن الرجولة والنخوة والشهامة، لماذا تستغربه الآن وهو الذي أهانها وذلها وألقى بها في الشارع لأنها غير قادرة على الخلفة، منذ أن ذهبا إلى دكتورة النساء والولادة وأجرت التحاليل لتكتشف أن عندها ورمًا في الرحم وكان لا بد لها أن تستأصل الرحم حفاظًا على حياتها، وهو عندما علم أنها يمكنها الإنجاب ولكن بنسبة بسيطة مع وجود الورم ولكن ذلك سيفاقم حالتها، وكل يوم تأخير في استئصال الورم سيهدد حياتها، وقتها أصر

أن تحمل تحت أي ظرف، وبالفعل حدث الحمل تحت تهديد وضرب وإهانة وتهديد بأن يلقيها في الشارع ويحرمها من كل الإمكانيات المادية التي أغدق عليها بها، ولكن سرعان ما يحدث نزيف يودي بحياة جنينها وتضطر الدكتورة أن تزيل الرحم وهي في غرفة العمليات، وعندما علم هو بذلك طلقها، طلقها حتى قبل أن تخرج من غرفة العمليات ويطمئن عليها بعد أن دفع حساب المستشفى وترك لها رسالة ما زالت تذكر كل حرف بها بكل كره وقرف، رسالة تفتقر لكل معاني الإنسانية تذكرها بأنها فقط جنت ما زرعته ودفعت ثمن ظلمها لـ«مالك» وتفضيلها المال على الحب، فجأة قررت الاتصال بـ«مالك»، قررت أن يشاركها همها ويحمل معها حزنها وضيقها كما كان يفعل دومًا دون حساب أي شيء، كيف لا وهو الذي طالما تحملها وتحمل عنها، هي تعرفه جيدًا، «مالك» رجل حقًا وشهم أيضًا لن يخذلها في محنتها ولن يتخلى عنها، لم تشعر بنفسها إلا وهي تتصل به وتخبره بمرض والدتها وأنها تحتاجه بجانبها، جرت أرقام هاتفه التي تحفظها عن ظهر قلب على شاشة هاتفها لتسمع صوته يأتيها بعد جرسين وكأنه في انتظار تلك المكالمة من ذلك الرقم الذي لا يعرف صاحبه في كل مرة يتصل، فقط يفتح الخط ليقول ألو عددًا من المرات ثم يغلق الطرف المتصل الخط في كل مرة، ولم يحاول هو قط أن يسعى لمعرفة هوية المتصل وكأنه يعلم ولا يريد أن تنقطع هذه المكالمات إذا ما حاول معرفة مصدرها، في البداية استغرب «مالك» ليس من كون «مريم» هي المتصلة - كونه كان

يشك أنها هي- ولكن من أنها قررت أن تفصح عن شخصيتها الآن، سريعًا زالت دهشته حينما علم بمرض والدتها وأنها بحاجة إليه، تردد قليلًا بعد اتصالها ولكنه لا يستطيع أن يراها تسأله شيئًا ويرد لها سؤالًا، أخذ منها عنوان المستشفى ونزل من منزله مسرعًا بعد أن اتصل بـ«هاجر» و«مصطفى» أن يأتيا لمنزله فورًا ليجلسا مع «حور» وقد أتيا بالفعل، تحجج بظهور حدث مفاجئ يستدعي نزوله الآن وقد يضطر للتأخر خارجًا وربما المبيت.. استفسر منه «مصطفى» إن كان خيرًا وعرض عليه أن يأتي معه فرفض، فقط طلب منه أن يبقى بجانب زوجته وبجانب «حور» إن احتاجتا شيئًا حتى يعود، ثم ذهب مباشرةً إلى «مريم» دون إخبار أي أحد كي لا يأخذ الموضوع أكبر من حجمه.

أثناء الطريق يفكر «مالك» فيما حدث لـ «مريم» ولماذا اتصلت به تطلب عونه في وجود زوجها، سرح في «حور» التي عوّضته عن كل شيء رآه بسبب «مريم»، لا يوجد داخله شيء لـ «مريم» الآن هو تحرك تجاهها كما لو أن غريبًا طلب مساعدته، دارت في رأسه الكثير من السيناريوهات لما حدث ولكن صوت سائق السيارة قطع حبل أفكاره بإخباره أنهما أمام المستشفى، نزل «مالك» ودخل مسرعًا إلى مكان وجود «مريم»، التي ما إن رأته حتى انطلقت تجاهه وتعلقت برقبته مثلما كانت تفعل سابقًا وهي تناديه باسمه وتنهمر من عينيها الدموع، وقف «مالك» مشدوهًا لا يدري ماذا يفعل، استعاد مع حضنها له كل مشاعره تجاهها دفعة واحدة، أراد

أن يضمها ويهدهدها مثلما كان يفعل ولكنه الآن رجل متزوج وهي سيدة متزوجة.. متزوجة! أفاقته كلمة متزوجة مما هو فيه.. كيف لها وهي متزوجة أن تتعلق به هكذا.. تنحنح وأزال يديها من حول رقبته برفق لتنتبه هي الأخرى وتعتذر وترجع خطوتين إلى الخلف وتفسح المجال له بالمرور تجاه مكان الجلوس، بادر «مالك» بسؤالها عما حدث فقصت عليه ما حدث لوالدتها، لم يرد أن يسألها عن زوجها، وقف معها كأنه أخ جاء من بعيد ليحمل عنها حملها -أو حاول أن يظهر كذلك- كان يتحرك بين المستشفى والأطباء ليعرف حقيقة ما حدث وما يتوجب عليهم فعله لتصبح والدتها بخير، ظل معها الليل بأكمله، أحضر لها بعض الشطائر التي تحبها لتتناول شيئًا يقويها على الوقوف بجانب والدتها، كان يضغط عليها لتكمل طعامها كما كان يفعل من قبل، كان دون أن يدري يهتم بها ويرعاها ويخفف عنها ما تمر به، كانت «حور» أمامه في كل شيء يفتقدها ويحبها ولكن لا يستطيع أن يرد «مريم» خائبة بعد أن لجأت له، جاء الطبيب ونظر إلى الحالة ليرى تحسنًا بسيطًا فخرج مبتسمًا وفرّحهما بما رأى، أخبرهما إن استمرت الحالة بهذا التحسن فيمكنهما أخذها معهما المنزل خلال اثنتين وسبعين ساعة، تجلس «مريم» بجانب «مالك» على الكراسي المقابلة لغرفة العناية المركزة، لا يتكلمان لكن كلًا منهما غارق في شيء يشغل باله، «مريم» غارقة فيما حدث لها وأنها وحيدة الآن وفي تعب والدتها، «مالك» مشغول بزوجته التي يشعر كأنه يخونها الآن.

لاحظ «مالك» أن «مريم» تتكئ على الكرسي الذي بجانبها وبعد لحظات غفت عيناها من التعب فخلع عنه معطفه ووضعه على كتفها من البرد، اتصل بـ«مصطفى» وأخبره أنه سيبيت في الخارج وعلى «هاجر» أن تهتم بـ«حور» الليلة، حاول «مصطفى» معرفة ما حدث فأخبره «مالك» أنه سوف يطلعه على كل التفاصيل عندما يراه، وقضى «مالك» ليلته برفقة «مريم» في المستشفى أمام غرفة العناية المركزة.

مرت الساعات طويلة عليه في انتظار الصباح للاطمئنان على والدة «مريم»، سمع أذان الفجر فتحرك إلى المسجد، توضأ وصلى الفجر حاضرًا ودعا لـ«حور» كثيرًا، دعا أن تسامحه حتى وإن لم تعرف، دعا لوالدة «مريم» أن تشفى، خرج من المسجد وعاد إلى المستشفى فوجد «مريم» مستيقظة وممسكة بمعطفه، شكرته فابتسم لها فذكرها بنظرته لها زمان، أيام ارتباطهما وحبه لها ولكنها الآن لا تعلم هل يوجد لها مكان بداخله أم لا؟ وهل نجحت «حور» في أن تحتل كل الأماكن المتاحة بداخله؟ أجرى اتصالًا هاتفيًا اطمأن فيه على «حور» ثم عاد إلى «مريم» ولم يتبادلا أي حديث جانبي إلا عن صحة والدتها وأنها ستكون بخير، مرت الساعات ببطء وهما قلقين على والدتها، جاء الطبيب مرة أخرى في الصباح وطمأنهما عليها وأخبرهما أن باستطاعتهما الدخول لها والاطمئنان عليها من قرب، دلفت «مريم» مسرعة إلى الداخل بينما «مالك»

انسحب من المستشفى إلى عمله كأن شيئًا لم يكن، لا يريد أن تراه والدة «مريم» حتى لا يزعجها بوجوده، وهو عازم كل العزم أن ينسى ليلته تلك ويعود مخلصًا لـ«حور» و«حور» فقط.

-٥-

مر يومه ببطء كالعادة، لم ينم ليلته السابقة وكان عليه أن يذهب لعمله الصباحي لينهي دوامه ثم يغادره إلى محله الذي يقضي فيه باقي يومه، أصبح يسهر به إلى نصف الليل، اهتمامه الشديد بعمله خصوصًا بعد زواجه سببه رغبته الشديدة أن يصبح ثريًا، يسعى أن يمتلك المال الذي كان سببًا في خسارته لحبه القديم، ولكن اليوم مختلف، فاليوم قد التقى حبه القديم الذي أعاد عليه كل ما كان، عافر أفكاره وانغمس في العمل حتى أذنيه لينفذ عزمه على نسيان ليلته، ولكن هيهات، كيف ينسى ليلته التي تذكره بماضيه وهو الذي لم ينسه قط، فكل ذكرى في الماضي تركت أثرًا على كل منحى في شخصيته حتى أصبح يحمل عن جدارة لقب رجل الماضي!

انتهى اليوم قبل موعده المعتاد بساعتين -بعد أن أخذ من روحه شيئًا مما تبقى- فقد كان بحاجة أن يمر على صديقه بمنزله قبل أن يعود لـ«حور»... يشعر أنها إن رأته الآن ستكشف كل شيء وهو الذي لم يعتد قط الكذب تحت أي ظرف، ولكن أحيانًا يضطر الشخص أن

يفعل ذلك مراعاة لمشاعر نصفه الآخر، يشعر بأن بحرمان رهيب يسيطر عليه، حرمان من ماذا وحرمان ممن لا يعلم! وصل إلى بيت شقيقته، صافح صديقه وجلس معه:

- أومال «هاجر» فين؟

- نايمة.. فضلت سهرانة مع «حور» امبارح طول الليل ووصلتها الصبح البيت وانا رايح الشغل رجعت لقيتها لسة منامتش، خصوصًا إن سيف كان تعبان شوية فضلت جنبه ويا دوب ما صدقت انه نام فدخلت هي كمان تنام شوية.

سأل «مصطفى»:

- ما لك يا «مالك».. وكنت بايت فين امبارح وليه مقولتش لـ«حور»، على فكرة هتلاقيها مضايقة جدًا.. انت مش أول مرة تبات بره في الشغل بس دي أول مرة تكلمنا احنا من غير ما تقول لها بنفسك وكمان متعرفش انت فين... وكمان مروحتش عليها وجيت على هنا؟!

لا يعلم «مالك» ماذا يقول لصديقه، هل يخبره بمكالمة «مريم» له، هل يخبره بما فعل وأنه لم يستطع أن يمنع نفسه من مساعدتها، وكالعادة لم يستطع أن يخبئ عليه شيئًا، قال:

- كنت مع «مريم» في المستشفى.. والدتها كانت تعبانة وكلمتني ورحت لها

اتسعت عين «مصطفى» من الدهشة ولم يرد، قال «مالك»:

- أنا معرفش سبب اتصالها بيا.. حتى مسألتهاش.. فضلت معاها لغاية ما اطمنت عليها وعلى والدتها ومشيت.

- و «حور»؟

- ما لها «حور»؟

- هتقول لها إيه؟

- بفكر أحكي لها.

- تبقى مجنون.. بلاش يا «مالك» «حور» مش هتستحمل وبعدين علاقتكم بصراحة متوترة لسبب مش مفهوم وانتوا مش ناقصين.

- بس انا مش حاسس اني عملت حاجة غلط، واحدة كانت محتاجة مني مساعدة وانا عمر ما حد لجأ لي وخذلته.

- «مالك».. الكلام دا مش عليّ... إحنا كبار وفاهمين دي مش أي واحدة دي حبك القديم اللي «حور» عارفاه كويس وهي أصلًا حاسة انها مش قادرة تحل مكان حبك القديم رغم كل اللي بتعمله علشانك.

- بس «حور» مش زي كل الستات.. «حور» عاقلة وهتفهم ولازم تكون واثقة فيّ وفي نفسها أكتر من كدا.

- انت بتصدق الكلام دا.. الستات كلهم زي بعض مفيش واحدة هتقبل على نفسها ان جوزها ييجي في يوم ويقول لها انه كان بايت امبارح مع حبيبته القديمة اللي أول ما اتصلت بيه جري عليها وعاوزها تبقى عاقلة وتتفهم دا وتقول لك وماله يا حبيبي اتفضل روح بات جنبها لحد ما تطمن عليها وعلى والدتها وانا هنا مستنياك تبقى مجنونة لو قبلت دا ومعندهاش كرامة كمان... انت عبيط يا «مالك» ولا بتستعبط ما تخلي عندك دم شوية وقدر مشاعرها شوية.

- بس انا متعودتش اكذب لأي سبب.

- مش عاوز تكذب متغلطش يا «مالك».

- أنا مغلطتش يا «مصطفى» انا شرحت لك اللي حصل كنت عاوزني اعمل ايه يعني اقفل السكة في وشها واقول لها آسف متكلمنيش تاني.

- لا انت غلطت وانت عارف انك غلطت بدليل انك مقولتلهاش امبارح انت كنت فين وخفت حتى تكلمها في التليفون وتستأذنها على الأقل تبقى احترمت وجودها وراعيت مشاعرها، وكان يبقى ليها حرية الرفض أو القبول ولو الموضوع زي ما انت شايفه كدا يا أخي متعداش كونه مساعدة لشخص ما كان ممكن تقول لـ«حور» وتاخدها

معاك، وساعتها «مريم» نفسها لو فيه في دماغها أي حاجة كانت هتفكر ألف مرة بعد كدا قبل ما تكلمك لأنها هتعرف انك بتحترم بيتك ومراتك، للأسف يا صاحبي انت غلطان وكونك مش هتقول ل«حور» فدا مش معناه انك بتكذب عليها دا معناه انك بتوقف الغلط وبتتجنب وضعكم كلكم في موقف سخيف انت كنت سبب فيه من البداية بسوء تصرفك، وكمان يبقى اسمك راعيت مشاعرها

لم يجادله «مالك» ولم يرد بأي شكل، فقط هم بالقيام مغادرًا فقام «مصطفى» من جلسته موصلًا إياه إلى الباب ثم ربت على كتفه مستطردًا:

- انس الماضي يا «مالك» وعيش الحاضر وحافظ عليه بدل ما تخسر كل حاجة يا صاحبي وترجع تندم وممكن ساعتها يكون فات الأوان.

رد عليه «مالك» بابتسامة خفيفة مودعًا إياه قائلًا:

- سلم لي على «هاجر» وبوس لي سيف لما يصحوا وابقى طمني عليكوا.

ثم غادر إلى «حور» يلقي بما يحمل بين أحضانها كما تعود.

وهي كانت بانتظار عودته بما يحمل ولم تمل يومًا مما يلقي.

- «مالك»... عاوزة أتكلم معاك شوية.

- معلش يا حبيبتي لسة راجع من الشغل تعبان وواقف على رجلي طول النهار.. يوم الجمعة نبقى نقعد نتكلم براحتنا.

- الأسبوع اللي فات يا «مالك» قلت لي كدا برضه وخرجت ومرجعتش غير تاني يوم وبعت لي «مصطفى» و«هاجر» يباتوا معايا وهما كانوا عارفين إنك هتبات بره وانا لأ، ومن ساعتها مش عارفة اتلم عليك.

- فيه إيه يا «حور»؟! ما انا قلت لك قبل كدا ان عندي ضغط شغل الأيام دي في الشغل الصبح وكمان في المحل.

ثم يستطرد وقد علا صوته وهم بمغادرة الغرفة:

- مش ممكن النكد دا كل شوية إيه مش قادرة تتحمليني شوية؟

تنهار «حور» وتغط في بحر من الدموع بصوت مسموع دون أن تنطق بحرف ليتوقف «مالك» عن مغادرة الغرفة على بابها، ثم يدور تجاهها مقطبًا جبينه ثم تلين ملامحه ويتحرك متجهًا إليها ويجلس على حافة السرير ويلف يده حول كتفها، ثم يضمها إليه لتكمل بكاءها على صدره قائلة بنهنهة:

- «مالك»... انت مبقتش تحبني علشان انا مبخلفش مش كدا؟

ينصدم «مالك» من كلماتها التي تقع على قلبه كجبل ويرد عليها سَريعًا:

- استغفر الله العظيم.. إيه اللي بتقوليه دا بس يا حبيبتي انتِ ازاي تفكري كدا؟ أولًا انا لا بطلت ولا هبطل احبك لحد ما اموت، ثانيًا احنا مؤمنين وموحدين بالله وعارفين ان الأطفال رزق وقت ربنا ما يأذن هتيجي.. وحتى لو محصلش، انتِ عندي بالدنيا.

انطلقت «حور» بالكلام ودموعها لم تجف قائلة:

- طب انت مش عاوزنا نروح للدكتورة تاني ليه طيب.. أنا مبقتش فاهماك يا «مالك».. ساعات بحس إنك بعيد عني أوي وساعات بحس إنك مش عاوز من الدنيا غيري.. ساعات بحس في نظراتك إنك بتحملني مسؤولية عدم الخلفة ولما بطلب منك نروح للدكتورة تاني بترفض.. ودلوقتي تصرفاتك بقت أغرب وبقيت بتبات بره البيت من غير ما اعرف ودايمًا مشغول عني.

ثم انهارت أكثر في البكاء وهي تكمل:

- إوعى تكون متجوز عليّ يا «مالك».

هنا لم يتمالك نفسه وانفجر ضاحكًا وهو يقول:

- وهو انا عبيط يا حبيبتي علشان اكرر نفس الغلطة مرتين.

فضربته بقبضتها في كتفه غاضبة وهي ما زالت تبكي:

- كدا يا «مالك» انا غلطة.. ربنا يسامحك.

قبل «مالك» رأسها وهو يقول بحنان:

- أحلى غلطة في حياتي يا حبيبتي.

ثم استعاد جديته وأردف:

- أنا هشرح لك وجهة نظري للمرة الأخيرة علشان منتكلمش في الموضوع دا تاني يا «حور».. أولًا بالنسبة لموضوع الخلفة انتِ عارفة اني نفسي يبقالي طفلة منك تكون شبهك وعارفة كمان ان انا طاوعتك ورحنا للدكتورة بعد ست شهور جواز بناءً على نصيحة مامتك، وعملنا الفحوصات وطلع عندك انتِ شوية مشاكل بسيطة الدكتورة كانت شاكة انها احتمال مش أكيد تكون مأثرة على الخلفة، وساعتها كان رأيي ان لسة بدري أوي على حوار الأدوية والدكاترة دا، وانتِ زعلتِ ساعتها فطاوعتك وأخدتِ العلاج لحد ما الدكتورة بتاعتك نفسها أكدت لنا ان مفيش أي شيء يمنع الخلفة، واطمنا والحمد لله ولما محصلش حمل لمدة ست شهور تاني رجعتِ

تزني عليّ انك عاوزة تروحي لدكتورة تانية غير الأولانية وبرضه طاوعتك وانا مكنتش موافق، ورُحنا وعملنا تحاليل جديدة وطلعت الحمد لله كلها سلبية ومطلعش فيه أي مانع يعوق الحمل لا مني ولا منك، ومن ساعتها واتفقنا اننا نسلم أمرنا لله ومنروحش لدكاترة تاني.. حصل؟

جاوبته بانكسار:

- حصل.

- ومن ساعتها وتقريبًا كل شهر بنتخانق على نفس الكلام وكل مرة بتبقي خايفة لاكون اتجوزت عليكِ وكل مرة بتتهميني إني مهملك وكل مرة بتبقي عاوزة تروحي للدكتورة.. حصل.

أومأت برأسها أن نعم وهي لم تفارق حضنه فأكمل:

- بالنسبة لموضوع التأخير والشغل انتِ عارفة قد إيه يا «حور» إني نفسي يبقى معايا فلوس كتير وعاوز أأمنلك مستقبلك ومستقبل أولادنا اللي هييجوا ان شاء الله، وعارفة انا قد إيه بخاف من الزمن علشان كدا ما صدقت ثبّت رجلي في وظيفة الصبح وفي نفس الوقت براعي وأكبر المحل ونفسي يكبر ويبقى ليه فرع واتنين وتلاتة.

قاطعته وقد اعتدلت في جلستها معترضة:

- يا حبيبي انت عارف برضه انا قد إيه فاهمة دا بس انا محتاجالك انت يا «مالك».. محتاجة لوجودك جنبي، مقدرة تعبك علشاني بس كمان محتاجة أحس ان..

ترددت قليلًا ثم قالت:

- محتاجة أحس إنك نسيت حكايتك القديمة وان مبقاش فيه في قلبك ولا تفكيرك غيري.

قطب «مالك» جبينه ثانيةً وقال بحسم وقد أزال يده عن كتفها:

- أنا مش قُلت يا «حور» بلاش السيرة دي تاني.. انتِ مبتزهقيش من الكلام في الموضوع دا.

فسألته بلهجة سريعة مترجية:

- طب علشان خاطري يا «مالك» جاوبني على سؤالي آخر مرة وانا مش هتكلم تاني في الموضوع دا... لو «مريم» رجعت لك تاني.. هترجع لها؟

هنا اندهش «مالك» للحظة من سؤالها وقد دار في خاطره شكوك العالم أجمع، هل ممكن أن تكون قد علمت شيئًا عن المكالمات المجهولة التي اتضح مؤخرًا أنها لـ«مريم»، ربما يكون «مصطفى» قد حكى لـ«هاجر» و«هاجر» قالت لها، أو محتمل يكون «مصطفى» نفسه هو من أخبرها، ولكن مستحيل! «مصطفى» نفسه هو من

طلب منه عدم إخبارها، كل هذه الخواطر جالت بفكره في لحظات لينفجر فيها وقد جن جنونه وثار وهو يتناول ملابسه ويخرج خارج الغرفة ساعيًا للخروج من الموقف وهربًا من سؤالها المفاجئ وهو يصيح بها:

- يوووووه يا «حور» دي مبقتش عيشة دي حرام عليكِ يا شيخة... أنا سايب لك البيت خالص ونازل.

ثم خرج للصالة ليكمل ارتداء ملابسه بها ويغادر المنزل في الحال.

و«حور» ما زالت في الغرفة وقد تجمدت أطرافها من الصدمة ومن ردة فعله، فهي لم تكن تعلم بظهور «مريم» ولكن قلبها المحب دق لها ناقوس الخطر وها هو «مالك» يزيد شكوكها ويصدمها بردة فعله..

ربما يكون بالفعل قد أحب «حور»..

ولكنه قطُّ لم ينس «مريم»...

مطلقًا.

هام «مالك» في الشوراع الخالية من كل معالم الحياة سوى من بعض الكلاب الضالة طريقها، والتي تعوي على ظلها الناتج عن ضوء بعض المصابيح ذات النور المهتز الخافت كزائرها البشري في هذا الوقت المتأخر من الليل، لا ينوي على شيء، كل ما جال بخاطره كيف وصل به الحال مع «حور» إلى هذا الوضع... ألم يحبها حقًا؟ كيف ذلك وهو الذي اتخذ قرار الزواج منها بمحض إرادته ودون ضغط من أي أحد؟ وحتى لو لم يكن يحبها حقًا، ألا تستحق منه الحب بعد أن قامت هي بكل واجباتها كحبيبة مخلصة وزوجة صالحة وحتى طبيبة لجروحه التي خلفتها تجربته مع «مريم»؟ «مريم»! كيف له أن يفكر بها الآن بعد كل ما فعلته؟ أليست هي سبب كل مشاكله في الماضي؟ هل هي حقًا عادت بسبب مرض والدتها وحاجتها إلى مساعدته؟ ولكن لا.. كيف ذلك وهي تحاول الاتصال به منذ أكثر من سنتين ولكنها لم تكن تعلن عن شخصيتها؟ معنى ذلك أنها لم تنسه ولكنها كانت تنتظر الوقت المناسب أو السبب المناسب لتعلن عن وجودها؟ ولكن لِمَ؟ ألم تنكره هي في الماضي وفضلت عليه زوجها الحالي؟ وأين هو زوجها هذا؟ ما هذا؟! لِمَ يهتم بها هكذا وهو الذي قرر أن ينساها؟ هل ما زال يحبها مثلما يقول له «مصطفى» طيلة الوقت؟ لا يهم، ما يهم الآن هي «حور»، هل تستحق منه كل هذه القسوة؟ ألم يأخذ قرارًا منذ آخر لقاء

له مع «مريم» بأن لا يعاود الوصول لها أو السماح لها بلقائه مرة أخرى؟ ألم يقرر أن ينسى ليلته تلك ويعود مخلصًا لـ«حور» و«حور» فقط؟ حسنًا ليفعل ذلك، «حور» تستحق منه أن ينسى العالم كله من أجلها.

-٦-

يقف «مالك» بجانب صديقه مرتديًا بذلة سوداء تجعله أكثر وسامة، كان «مالك» مضطرًا أن يحضر عرس أحد أصدقاء «مصطفى»، طلب منه ذلك فلم يرفض، انتهى الفرح وتحرك «مالك» عائدًا إلى منزله بعد أن وصّله «مصطفى» بسيارته، كان الوقت متأخرًا فوضع المفتاح في المزلاج بهدوء حتى لا يوقظ زوجته من نومها، وهو الذي حاول الأيام الماضية أن يطيب خاطرها بعد آخر مشادة بينهما ولكن لم يتمكن من ذلك، فهي لثلاثة أيام متتالية يعود فيجدها نائمة وينزل صباحًا وهي نائمة أيضًا، حاول أن يوقظها مرة ولكنها لم تكن تستجيب لندائه فلم يرد أن يزعجها، وكان قد عزم على أن يأخذ يوم الإجازة لها وحدها ويعيد لها أيام الحب والرومانسية مثلما تستحق هي وأكثر، تحرك ببطء حتى لا يحدث صوتًا يؤرقها، فتح باب غرفة نومهما ليجدها مظلمة، خطوة واحدة للداخل فسمع صوت فرقعة مدوية تبعتها ضحكة عالية فضغط على الزر لينير المكان ويجد «حور» تجلس بفستان أبيض على السرير وتضحك على ما فعل، ضغط بقدمه على إحدى البلالين المنفوخة

والمبعثرة على أرضية الغرفة فحدث ما حدث، بدأ ينظر حوله ويرى غرفتهما ممتلئة بالزينة والبلالين وعلى السرير كانت تجلس «حور» بجانب التورتة التي أحضرتها له، قامت من مكانها وتحركت ناحيته وتركت قبلة طويلة ودافئة على شفتيه ثم قالت وهي تقدم له علبة مغلقة ملفوفة بعناية:

- كل سنة وانت طيب يا حبيبي

كان فستانها قصيرًا ورقيقًا وأحمر الشفاه جعلها أكثر نعومة، ضمها إليه فمدت ذراعها لتشغّل الموسيقى التي أحضرتها لهذه المناسبة، بدأت الموسيقى في الانتشار في المكان وبدأ «مالك» و«حور» بالرقص عليها بإيقاع هادئ وجميل، لف ذراعيه حولها وهي تضع رأسها عند قلبه، سألها:

- عملتِ كل دا إمتي؟

- يا حبيبي هو انا عندي أهم منك في الدنيا

قبّلها مرة أخرى فقالت:

- اليوم دا مكنش ينفع يعدي كدا

ظهر الاندهاش عليه وقال:

- بس ازاي

هزت رأسها بالنفي فضمها إليه وطلب منها أن تخبره بما حدث، أخبرته أنها طلبت من «مصطفى» أن يأخذه إلى أي مكان في هذا

اليوم لتستطيع هي و«هاجر» تحضير كل شيء، ساعدتها «هاجر» في صنع الجاتوه بينما هي كانت تتجهز لتكون في أحسن وضع أمامه.. أخذها من يدها وجلس بها على حافة السرير وقال:

- ربنا ما يحرمني منك أبدًا.. قدرتِ تخلي حياتي أحلى

ثم نظر مباشرة بعينين يملأهما الندم قائلًا:

- سامحيني يا حبيبتي.. سامحيني على أي مرة ضايقتك فيها أو جرحت مشاعرك بكلمة، أنا كنت هصالحك بطريقتي بس انتِ دايمًا سابقاني في كل حاجة حلوة، مش عاوزك تخافي على حياتنا سوا، أنا هعيش لك تخلص العمر كله، عمري ما هضايقك ولا هزعلك، علشان انتِ أغلى حاجة وكل حاجة في دنيتي

كان «مالك» بالفعل صادقًا في كل كلمة قالها فهو بالفعل يشعر أنه يحبها، بدليل أنه منذ ليلته تلك والوعد الذي قطعه على نفسه بأن يعيش لـ«حور» و«حور» فقط، وهو لم يعد يفكر قط في «مريم»، كان يشعر أن «مريم» عادت إليه في هذا الوقت تحديدًا لتنبه إلى كيف هو يحب «حور» حقًا.

نظرت له بعين دامعة قبل أن تغوص في أحضانه قائلة:

- انت اللي خليت لدنيتي طعم يا «مالك».. من ساعة ما شفتك وانا حياتي بقى ليها هدف.. انت هدفي وإنجازي في الدنيا دي يا «مالك»

رأته فأحبته فكانت له منذ البداية، لم تتمنَ غيره ولن تعيش بدونه يومًا واحدًا، كان يحس هذا دومًا من كل كلامها، سألته بحماس:

- مش هتفتح هديتك بقى؟

- انتِ هديتي يا «حور».. انتِ اللي ربنا كافئني بيها بعد كل اللي شفته في حياتي

وضعت يدها على شفتيه حتى لا يكمل كلامه فترك قبلة على كفها ثم تناول هديته ليرى ما أحضرت له، فتح العلبة ليجد نوت بوك مغلفة بعناية وعليها كارت كُتب عليه تُقرأ بعد سنة من الآن، نظر لها باستغراب فقالت:

- دي نوت بوك فيها كل حاجة اتمنتها زمان.. فيها حاجات اتحققت وعشتها فعلًا معاك... وحاجات بتمنى انها تحصل في المستقبل، دي هديتي ليك في عيد ميلادك.. كل سنة وانت أنا

ثم وضعت رأسها عند قلبه مرة أخرى وقالت:

- بعد سنة هتلاقي نفسك عرفت كل اللي فيها من قبل ما تقراها.. بعد سنة هنقرا اللي فيها سوا واحكي لك عن الذكريات اللي مريت بيها وانا بعيشها ووانا بكتبها كمان.

«مالك»..

اليوم أكتب إليك، أدون مشاعري هنا لتكون هدية عيد ميلادك في يوم ما، سأكتب إليك عما شعرت عند لقائك أول مرة، رغم أن الشمس تشرق يوميًا فإن اليوم هناك شيء مختلف؛ فاليوم تشرق شمسي الخاصة لأول مرة.

اليوم رأيتك، خطفتني من النظرة الأولى، الغريب أنني رأيت ما بداخلك؛ رأيت الظلام الساكن في روحك ورغم كل هذا الحزن الظاهر ارتعشت أطرافي من حضورك، كان شيئًا غريبًا عليّ، لأول مرة أهتم حينما أشعر بحزن أحد لا أعرفه شخصيًا.

حاولت أن أتعرف عليك، رفضت، كان رفضك همزة الوصل، كان سبب إصراري على معرفة ما بك.

لِعبت الصدفة دورًا مهمًا في حياتنا، فلولا لقاؤنا الأول والثاني بصدفة غريبة لا توجد إلا في الأفلام لما تمكنت من الحياة بجانبك ومشاركتك حياتك. عرفتك، أحببتك، عشقت كل تفاصيلك، كم تمنيت أن يصبح كل حدث بيننا هو الأول لك كما هو الأول لي، هل تذكر أول مرة سرنا معًا وكان ظلانا أقرب بعضهما لبعضٍ منا، كنت أحسد ظلي على ما يشعر به بجانب ظلك، كان أقرب لك مني حينها، لكني أحببتك من الوهلة الأولى، أردت أن أحمل عنك كل ما يرهقك.

هل تتذكر عندما ذهبنا معًا لنتناول الطعام لأول مرة، كنت أرى في عينيك خيبة أمل بينما كنت أتمنى أن أكون أول امرأة في حياتك، لأطعمك من يدي وأعرف كل ما تحتاج وأفعله لك، في ذلك اليوم أخطأت في اسمي، ناديتني بـ «مريم»، تجاوزت ذلك لأني أعرف ما تعنيه لك، وما فعلته في قلبك الذي إن لم يذكرها لأنه أحبها سيذكرها لأنها حطمته، أحاول دائمًا إصلاح ما فسد بداخلك لأجلك وليس من أجلي، أحببتك يا حبيبي، أحببت كل شيء فيك، عندما صدمتك السيارة في أول مرة نخرج فيها معًا حينما ذهبت لإحضار الأيس كريم لي، صدمت السيارة قلبي معك، لأني كنت على يقين بوجود «مريم» حينها حتى تفسد علينا اللحظة.

ولكن لم أستطع حينها إلا أن أبقى بجانبك وأسمعك وأتحمل عنك كل ما تريد إلقاءه بعيدًا، أكتب إليك لتعلم كيف أحببتك وإلى أي مدى وصل حبك بداخلي، أصبحت كل شيء لأنك عوضتني عن كل شيء.

الظاهر أمام الجميع أنني لا ينقصني شيء، ولكن كان ينقصني أن أشعر أني مثل أي فتاة لها حبيب تهتم بكل تفاصيله، لم يكن ينقصني الاهتمام ولكن ما كان ينقصني أن أصبح مسؤولة عنك، عن قلب مثل قلبك يا «مالك».

لذلك عندما رأيتك لم أستطع منع نفسي عن تحدي كل شيء لأراك سعيدًا، الجميع اتهمني بالجنون، لا ينقصني شيء لأعيش حياة سعيدة من أول يوم، ولكن لن أجد ما يشبهك إن عشت على حياتي حياة أخرى.

وجدت فيك ما كان في أبي قبل أن يرحل عن عالمي، طيبته وطبيعته التي عاش بها على الفطرة، رغم أنه كان أبي فإنه كان صديقي المفضل، كنت أحكي له دومًا عن كل ما أمر به، كان سندي وأماني في الدنيا، لذلك كنت أرد له فيك كل ما فعل لي، كان سيحبك عندما يراك، أنا متأكدة من ذلك.

لم يكن جنونًا يا «مالك» أن أتحدى الجميع أنني سأزيل كل ما بداخلك في فترة قليلة مقارنة بفترة ارتباطك بها، كنت ضمن الجميع الذين لاحظوا التغير الواضح عليك، رأوا نتيجة حبي لك ونتيجة صبري الذي لم أكن مضطرة له. أحببتك لأنك تستحق الأفضل دائمًا وقبل أن أعرف أي شيء عنك شعرت بذلك.

كنت أشعر بالوجع عندما يمر علينا شيء وأنا متأكدة أنها ليست المرة الأولى لك، هل تذكر تاريخ أول فيلم شاهدناه معًا في السينما، كنت أراقبك أنت لا أشاهد الفيلم، كنت أرى في ارتعاشة يديك كل ما مررت به في هذا المكان من قبل، كنت أرى في ابتسامتك تذكرك لها ورغم ذلك حاولت انتزاعها كليًا من داخلك.

لعلك تسأل نفسك وستعود لتسألني لماذا كتبت هذا الكلام وحياتنا أصبحت أفضل، وحياتك أصبحت أفضل، أنا لا أعرف سبب هذا ولكني أريدك أن تتذكر دومًا أنني أحببتك حد الموت وإن لزم الأمر موتي لأجعلك سعيدًا سأفعل.

رغم وجعي من أن كل ما تفعله معي ستكون هي المرة الثانية لك فإنني أحببت اهتمامك، خوفك عليّ عندما أصبح المناخ باردًا فخلعت سترتك لأشعر بقليل من الدفء، أحببت حبك لكل ما أحب لأنه فقط ما أحب، أحببت كلامك وكل شيء تعطيه لي. كل صورة التقطتها لي هي الأفضل بالنسبة لي، لو ركزت قليلًا في الصور سترى صورتك في عيني، ابتسامتك تحييني.

كان كل هذا قبل زواجنا، عانيت كثيرًا قبل أن يجمعنا بيتٌ واحدٌ أن أقنعك بالعيش معي، باللجوء لي لتعيش من جديد، وبالفعل في فترة ليست بقصيرة سلّمت نفسك لي وأعطيتني أهم هدية في حياتي، قلبك يا حبيبي، قلبك الذي أحياني بعد أن تخيلت أنني لن أستطيع أن أعيش وأنت تعافي، قلبك الذي عانى كثيرًا وآن له أن يستريح ويذوق طعم السعادة والهناء.

كان يقرأ ما كتبته له بعد أن تذكر هديتها له فدلف غرفته بعد أن نامت «حور»، بحث عن النوت بوك في كل مكان، وجدها وكأ وجد روحه معها، جلس أرضًا، رجع برأسه إلى الخلف، رفع الكلام أمام عينيه وبدأ يقرأ، كان مع كل سؤال منها يجيبها بصوتٍ عالٍ ودموعه تنهمر مع كل كلمة:

- فاكر يا حبيبتي.

شعر بمعاناتها، تذكر ما كانت تفعله من أجله. كان يعرف وسيظل يعرف أنها الوحيدة التي أحبته بصدق، الوحيدة التي فضّلته على نفسها وأن أهم شيء لها هي سعادته، كان يقرأ بسرعة، يجري وراء السطور ليعرف ما ضمت مذكراتها له، كانت الدموع تعرف طريقها من عينه إلى لحيته وملابسه، لم يستطع أن يقرأ منها إلا صفحات قليلة، بكى بشدة ثم ضم كلامها إلى صدره وهو يعتذر لها عما بدر منه، اعتذر لها عن سوء اختياره وعن ما جعلها تمر به لتراه سعيدًا، لو كان يعلم أنها ستفارقه لما سمح لنفسه أن تشعر بأي شيء من ذلك لتعيش معه من أول يوم رأته في سعادة.

مسح دموعه وأغمض عينيه ليشعر بيد تربت على يده، شعر بها تطبطب عليه وتهون عليه، قالت بحنان:

- هون على نفسك يا حبيبي.. المهم تبقى كويس.. بحبك.

مسك يديها وقبّلها، اعتدل في جلسته وضمها إليه بقوة حتى يتأكد من وجودها، ضمها إلى أن أصبحت تكاد تكون بداخله، فجأة وجد نفسه يحتضن نفسه، تكوّر على نفسه ونام في مكانه بدموعه التي لم تهدأ إلا بعد أن غرق في سبات عميق.

- بقالي فترة نفسي أطلب منك طلب يا حبيبي بس مكسوفة.

ترك ما في يده وانتبه إليها، سألها:

- طلب ايه يا حبيبتي أؤمري.

تنفست بهدوء حتى تستطيع الكلام، ثم قالت:

- فيه مطعم حلو أوي نفسي نتعشى فيه في يوم.. بس انا عارفة إنك مبتحبش الخروج وكدا فعشان كدا كنت مترددة أقول لك.

اقترب منها ثم وضع رأسها عند صدره وقال:

- فيه فرق إني مبحبش الخروج واني مبحبش الخروج معاكِ.

نظرت له ببلاهة لا تفهم ما يقول فتابع:

- يعني انا ممكن من نفسي مفكرش اخرج وأفضل قعدة البيت معاكِ بالذات أني ماليش صحاب كتير غير «مصطفى»، إنما لو انتِ فكرتِ في خروجة هبقى مبسوط بيها جدًا لأنها هتكون معاكِ ولأنها هتبسطك.. فعشان كدا يا حبيبتي أي وقت تحبي تعملي أي شيء عرفيني عشان نعمله سوا.

كانت هي الحقيقة الوحيدة في حياته، لم يمر على زواجهما الكثير، كانت تعلم طباعه من قبل من خلال شقيقته ولما عاشت معه واقتربت منه أكثر حفظت كل تفاصيل حياته ولم ترد أن تشق عليه في أي شيء، أرادت فقط أن تكون معه في مكان تمنت دومًا أن تكون فيه برفقة من تحب.

أنهى «مالك» عمله، ثم توجه مباشرةً إلى «حور» التي تنتظره ليخرجا الليلة كما وعدها، ارتدت فستانًا أسود بدا فاتنًا عليها وجهزت له ملابسه التي يفضلها دومًا، انتظرته وألبسته ملابسه وعطرته ثم نزلت بجانبه إلى السيارة التي أخذها «مالك» من صديقه «مصطفى»، ركبا السيارة معًا، سألها:

- تحبي تسمعي إيه؟

قالت:

- أغنية فرحنا يا حبيبي.

انطلق صوت هاني عادل يملأ السيارة، كانا يحفظان كلمات الأغنية كاسميهما، أحبها «مالك» فأحب كل شيء تحبه، وأحبته «حور» فعشقت كل ما يفضله واهتمت بكل تفاصيل حياته ولا تستطيع أن تفعل شيئًا بدونه أو تتركه يفعل شيئًا بدونها، في فترة قليلة استطاعت أن تصبح مكان والدته لتهتم بكل شيء في حياته. بدآ يرددان الأغنية معًا، تضع يدها على يده التي يقود بها تاركة رأسها على كتفه، قالت وهي تشم رائحته التي تأسرها دومًا:

- بحبك.

التفت إليها مباشرةً ثم خطف من شفتيها قبلة سريعة ثم قال:

- وانا بموت فيكِ.

ظهر عليها الخجل، احمر وجهها فحاول أن يزيح عنها حرجها، سألها بوجه ظهر عليه الجدية والجمود:

- عارفة إيه أهم حاجة في حياة أي اتنين متجوزين؟

نظرت له وقد تحوّل خجلها إلى فضول فأكمل وهو يغمز لها بطرف عينه:

- أي حاجة بتيجي على سهوة.. أي حاجة بتيجي خطف هي أهم شيء في حياة أي اتنين متجوزين.

عاد خجلها مرة أخرى بينما علت ضحكاته في السيارة، وصلا إلى المطعم الذي أخبرته باسمه فنزلا إليه وجلسا على الطاولة الفارغة، كان المكان مزدحمًا نظرًا لأنه آخر أيام الأسبوع، أعطاهما النادل قائمة الطعام، سألها:

- تحبي تاكلي إيه؟

لم تجب، نظر لها ليجد عينها لامعة، لا يدري إن كان فرحًا أم حزنًا فسألها مرة أخرى فقالت:

- عارف يا «مالك» انا دايمًا كنت أعدي قدام المطعم دا والاقيه زحمة كدا وكان بيبقى نفسي اخش آكل فيه أي حاجة بس مكنتش بعرف.

ترك القائمة من يده ومسك يديها ثم قال:

- ليه يا حبيبتي؟

- عشان كنت لوحدي.. ومكانش ينفع اخش مكان زي دا لوحدي، كنت محتاجة ادخله مع حد بحبه.. حد مبسوطة معاه من قلبي

ابتسم لها، شعر بمعاناتها، فراغ حياتها أصعب مما عانى ومما مر به حياته، كانت بمفردها لا تستطيع أن تتكلم أو تطلب من أحد أي شيء، فأكملت:

- أنا ما صدقت لقيتك.. حتى بكل مشاكلك ولعبكتك دي.

ضحك على كلامها فقالت:

- مش قصدي والله يا حبيبي اقصد إني حبيتك أوي واتمنيت كل حاجة كان نفسي فيها في يوم إني اعملها معاك.

نظر إلى قائمة الطعام وطلب لها كل ما تريد، جاء الطعام سريعًا وبدأ في تناوله، كان تارةً يأكل وتارةً ينظر إليها يتأملها وهي تتناول طعامها كطفلة صغيرة سعيدة بخروجها مع والدها، انتهى اليوم سريعًا فأخذها إلى المنزل مرة أخرى.

انتبه من قراءته للأجندة التي تركتها له «جور» على رنين هاتفه، ترك الأجندة ونظر إلى الهاتف ليرد، ثم تراجع وقد قرر ألا يكون لها مكان في حياته ولو كان بسيطًا، عاد مرة أخرى ليتابع قراءته، وجدها تجلس بجانبه، تسأله:

- مردتش على التليفون ليه؟

- وحشتيني.

وضعت يدها على يده الممسكة بالأجندة ثم قالت:

- انت كمان وحشتني أوي بس الحكاية خلصت خلاص.. لازم تنسى.

- أنا نسيت فعلًا يا حبيبتي وانتِ متأكدة إن مبقاش فيه مكان لا في قلبي ولا في حياتي غير ليكِ.

ابتسمت وهي تضع يدها على لحيته وتمرر يدها عليها ثم قالت:

- أنا متأكدة من دا يا حبيبي، أنا عارفة ان اللي بيموت مبيرجعش!

نزلت دمعة من عينه، لم يصدق ما يسمع، لم يستطع قلبه أن يتحمل ما يرى، أو ما يسمع، لن يستطيع نسيانها وهي الوحيدة التي عشقها بكل كيانه، حاول كثيرًا ولكنه لم يستطع أن ينسى ذكرياته معها، بكى بحرقة وهي تختفي من أمامه ككل ليلة منذ أن افترقا، تمنى أن يعيش لها ليعوّضها كل الحرمان الذي ذاقته، ظل يفكر فيها إلى أن أصبحت الدنيا حالكة الظلام، سوداء كلون حياته بعد أن فارقتها.

-٧-

أصبح هناك شيء بداخلها يريدها أن تكون بجانبه، أن تطمئن عليه وتهتم به مرة أخرى. أنهت كل ما وراءها واتصلت به قبل أن تنام فلم يرد، قررت أن ترسل له رسالة، وانتظرت أن يرد عليها. انتظرت كثيرًا، فلم يجب على اتصالاتها ولم يرَ رسالتها، قررت أن تنام وتستيقظ مبكرًا في موعد عمله وتتصل به مرة أخرى، لكنه أيضًا لم يجب على مكالمتها أو رسائلها.

كان كل شيء موجود يشبههما، البحر بهدوئه، السماء بصفائها. كل شيء يشبه حبهما. كان كل شيء معدًا قبل ساعات، كل شيء تم إعداده فقط لأنها تمنت ذلك. كان هذا هو «مالك» عندما يحب.

تجلس بجانبه على مائدة الطعام في مواجهة البحر وتسأله:

- ليه عملت كدا؟

أخذ يديها وترك عليها قبلة ثم أجاب:

- عشان انتِ كان نفسك في سمك.

- يا حبيبي كنت هاته معاك وانت جاي ونا كل في البيت مكانش لازم التعب دا كله.

ابتسم وهو ينظر لعينيها ثم قال:

- السمك على البحر حاجة تانية.

بدأ يخلي لها السمك من الشوك، ويضع أمامها قطع السمك لتأكله بجانب الأرز والسلطة. كان يطعمها من يده ويلاحظ فرحتها بقربه. كان الهواء يضرب وجهيهما بلطف، كان يأكل بنهم.

الحياة بجانبها هي كل ما يتمنى، ندم كثيرًا على الوقت الذي أضاعه في البعد عنها أو في محاولة إبعاده عنها.

تناولا طعامهما وهما يتبادلان الكلام حول حملها وحياتها معه، كان «مالك» يفكر في إنهاء حياته في الإسماعيلية والذهاب للقاهرة معها والاستقرار هناك خاصةً أن فرص الحياة في القاهرة أفضل ولكن «حور» اعترضت على كلامه:

- يا حبيبي حياتنا هنا جمب بعض أحلى وأبسط.

تناولت قطعة سمك مع ملعقة أرز ثم قالت:

- القاهرة زحمة جدًا وانا مبحبش الزحمة انا ما صدقت خلصت دراسة هناك ورجعت هنا وكمان عشان نبقى جمب «هاجر» و«مصطفى».

هز رأسه موافقًا على كلامها لكنه كان يريد أن تولد ابنته في القاهرة، ففرص الحياة أفضل وفرصة تربيته لها وتعليمه لها هناك أفضل بكثير ولكنه اقتنع بكلامها ورضي به. انتهيا من تناول الطعام ثم قاما من مكانهما، تحرك «مالك» مسرعًا ليحضر لها كأسًا من الأيس كريم الذي كان بمثابة اكتشاف لها. طوال فترة حياتها تأكله عاديًا بنكهاته الطبيعية ولكن هذه المرة كان يحتوي على عسل ومكسرات جعلته ألذ مما جعلها تطلب واحدًا آخر بعد أن أنهت الأول بنهم.

تمشيا معًا على البحر مباشرةً وهما يتناولان الأيس كريم. كان القمر ينير الشاطئ بينما «حور» تحاول جاهدةً إنارة حياة «مالك».

تمشي «حور» بجانب «مالك» واضعة يدها في ذراعه مقتربة منه لتشعر بكل شيء فيه، تلامس أقدامهما المياه ورأسها يميل على كتفه.

انتهيا من كل شيء ثم ركبا سيارتهما وتحركا في طريق عودتهما للمنزل، سألته:

- عايز تسمي البيبي إيه؟

فكر قليلًا ثم اقترب من أذنها:

- «حور».. نسميها «حور».

ضحكت على مجاملته ثم قالت بجدية:

- بجد نسمي البيبي إيه وبعدين عرفت منين أنها بنت مش ممكن يكون ولد؟

يشعر أنها تحمل نسخة مصغرة منها، نسخة ستعيش معهما في بيت واحد تحظى بحبه وتغار منها والدتها. قال:

- معرفش والله بس عندي إحساس أنها بنت.

قالت:

- ماشي يا عم الحساس.. ها بقى هنسميها إيه لو بنت؟

- نفسي اسميها عائشة أو فاطمة ولو ولد نفسي اسميه علي.

اندهشت من الأسماء لأنه لم يتكلم معها عنها من قبل، سألته عن السبب فهز كتفيه أنه لا يعرف السبب هي فقط تعجبه وتجعله سعيدًا عندما يسمعها أو يقرأها.

- شدوا حيلكم.. البقاء لله.

لقد احترق كل شيء، اختفى كل شيء من أمامه فجأةً بدون أي مقدمات. لحظات مرت على «مالك» كأنها سنين، وقف بعدها «مالك» بمساعدة صديقه ثم اتجه إليها. بكاها بحرقة، صرخ لفراقها بقوة. ضمها إليه محاولًا إيقاظها، حاول الجميع سحبه من أمامها ولكنه نهر الجميع وطلب منهم الخروج. ظهرت والدتها من وراء الجميع حاملة طفلته تضعها بين يديه وتخرج. نظر إليها وبكى بكاءً شديدًا، جلس أرضًا بجانب «حور» ممسكًا يديها وهو ينظر لطفلته التي لم تمر دقائق على وجودها في الدنيا ورغم ذلك فقدت والدتها.

قبّل الصغيرة ودموعه تنهمر من عينيه ثم حملها ووقف على قدميه ينظر لـ«حور» بعين دامعة وقلب مجروح.

يناجيها ويتحدث معها ويسألها، أين تذهب ولمن ستتركه.

بعد دقائق دخلت عليه «هاجر» وأخذت الطفلة من بين يديه وذهبت بها إلى طاقم التمريض ليهتموا بها، بينما أخذه صديقه من يده للخارج. ثم تحرك «مالك» لغرفة الطبيب ليعرف طبيعة ما حدث، دلف «مالك» إلى الداخل دون استئذان. تفهّم الطبيب حالته ولم يعقّب، سأل «مالك» بعين دامعة وقوى منهارة تمامًا:

- إيه اللي حصل؟ أنا مراتي طول فترة الحمل كانت كويسة جدًا والدكتورة كانت مطمنة طول الوقت.. إيه اللي حصل عشان تموت؟

قام الطبيب من على كرسيه وطلب من «**مالك**» الجلوس ثم جلس أمامه على الكرسي المقابل له، ثم قال له بهدوء وبطريقة علمية:

- حصل نزيف شديد بسبب انفصال المشيمة المبكر ودا سبب للوفاة.

لم يفهم «**مالك**» ما قاله الطبيب فبدأ يشرح له الموضوع بطريقه أسهل إلى أن استوعبها «**مالك**» وسأله:

- مكانش في أي طريقة تنقذوها بيها.

نكّس الطبيب رأسه ثم قال:

- احنا حاولنا على قد ما نقدر بس دا عمرها ولكل أجل كتاب.

خرج «**مالك**» من الغرفة ليأخذ زوجته وابنته إلى المنزل ثم تحرك «**مصطفى**» لينهي كل الأوراق المطلوبة لاستلام «**حور**» ودفنها. كان الجميع يقوم بدوره دون الشعور بأي شيء غير مصدقين ما حدث.

في ناحية «مالك» يحمل زوجته ليذهب بها إلى بيته لتتم مراسم الغسل والدفن وفي ناحية أخرى «هاجر» مع طاقم التمريض لرعاية المولودة الصغيرة و«مصطفى» يقوم بإنهاء كل شيء.

تحركوا جميعًا بسيارة الإسعاف إلى منزل «مالك»، انتهى الأمر بـ«حور» على سريرها مغطاة بالأبيض و«مالك» يجلس بجوارها وفي الخارج جاء الجميع ليكونوا بجانب «مالك» في محنته. صوت بكاء الصغيرة كان يفطر قلوب الجميع. لم يصدق أحد أن «حور» تركت «مالك» وابنته هكذا، لم يصدق أحد أنهم فقدوا «حور» مبكرًا بهذا الشكل الموحش.

خرج «مالك» بينما تنتهي والدة «حور» وأقاربها من غسلها، يجلس مع الجميع ويحمل طفلته على كتفه محاولًا طمأنتها. يصافح الجميع بعين زائغة وكأنه ليس موجودًا معهم في هذا المكان. ينظر لطفلته لا يدري ماذا يخبرها وهي التي تحمل جمالًا وبراءةً لا توصف.

بعد أن انتهى الجميع من فعل ما عليهم، وغسّلت «حور» وزيّنت في كفنها وأحضر «مصطفى» الفراشة لينصب صوان العزاء في الشارع و«هاجر» تكفّلت بإحضار صديقة لها حديثة الولادة لترضع الصغيرة وتطعمها لأنها لم تتقبل اللبن الصناعي للوهلة الأولى.

كان الجميع مشغولًا بما يفعل فتحرك «مالك» إلى غرفته ليبقى بجانبها حتى الصباح.

كشف عن وجهها ليراها ويشبع منها للمرة الأخيرة. سألها:

- خلاص.. هتسيبيني؟

بدأت عينه تمتلئ بالدموع فتابع كلامه معها:

- طب هتسيبيني لمين بعد ما بقيتِ كل حاجة عندي، عارفة لو مكنتيش جبتيلي بنت زي القمر شبهك كان زماني محصلك عشان ابقى معاكِ.

بكى بحرقة حتى اعتصر قلبه الألم، فجأة جلس مرة واحدة وسألها:

- هنسمي بنتنا إيه؟

كان الموقف غريبًا يصيب القلب بالجنون. يتحدث معها كأنه يسمع إجابتها ولكنها لا تجيب، نام بجانبها حتى الفجر لتبدأ مراسم صلاة الجنازة والدفن. لم يكن هناك داعٍ للانتظار لصلاة الظهر، صلى عليها الفجر وتحرك مع الجميع ليدفنها. حاول إبقاءها معه لأطول فترة ممكنة لكن نصحه الجميع بأن إكرام الميت دفنه.

كان يمشي بين الجميع كأنهم غرباء عنه وكأنه غريب عنهم. يشعر بين الفينة والأخرى بلمسات أيديهم على كتفه تصبره وتعزيه في مصيبته. ظل حاملًا خشبتها على كتفه طوال الطريق ولم يسمح لأحد أن يأخذ مكانه. تارة يجدونه يذرف دمعًا وتارة يجدونه ينظر للخشبة مبتسمًا. خرج جميع أهالي المنطقة لمؤازرة حبيبهم، الشاب الطيب الذي طالما ودهم وساعدهم. وصلوا إلى المقابر ثم حملها وأنزلها إلى القبر ونزل معها. أنهى واجبه تجاهها داخل قبرها ثم جلس بجانبها بينما بدأ المشيّعون في قراءة القرآن. لاحظ «**مصطفى**» صديقه يجلس بجانب زوجته فطلب منه الخروج. نظر له «**مالك**» وكأنه يرجوه أن يغلق عليه القبر معها. خرج «**مالك**» محاولًا أن يظهر متماسكًا أمام الجميع. قرأ معهم القرآن ووقف ليتلقى تعزيتهم.

غادر الجميع المقابر بينما ظلت عائلة «حور» الصغيرة برفقتها. «**مالك**» وشقيقته وابنته وصديقه ووالدة «**حور**» وبعض أقاربها وبعض من أقارب «**مصطفى**». طلب «**مصطفى**» من الجميع الرحيل ليحظى «**مالك**» ببعض الخصوصية مع زوجنه. بدأ الجميع بالمغادرة فطلب «**مالك**» من «**هاجر**» أن تعطيه صغيرته.

جلس «**مالك**» ووضع طفلته على فخذيه أمام قبر «**حور**». يدعو لها ويطلب من الله أن يرحمها ويتقبلها عنده. ضم صغيرته وهو ينظر

لها بحزن بالغ لا يدري ماذا سيفعل ليرعاها ويهتم بها ويعوضها عن غياب والدتها.

جلس طويلًا برفقتها ولم يجبره على التحرك إلا بكاء ابنته، قامَ من مكانه وتحرك للخارج ليجد «مصطفى» و«هاجرَ» في انتظاره. ركب معهما السيارة وتحركوا للبيت بينما «هاجر» تحاول تهدئة الصغيرة حتى تصل بها إلى صديقتها ومرضعتها.

وصل «مصطفى» إلى منزله وأوقف السيارة فنظر «مالك» إلى «مصطفى» فقال الأخير:

- هتبات معانا النهار دا عشان تبقى البنت جنب «هاجر» وتعرف تاخد بالها منها وعشان لو جاعت تعرف تديها لصاحبتها ترضعها.

لم ينتهِ «مصطفى» من حديثه حتى لاحظوا الصغيرة تقبل اللبن الصناعي التي تحاول «هاجر» أن تطعمها به منذ أن تحركا من المقابر. ابتسم «مالك» ثم قال:

- أنا هروح.. مش هعرف ابات بره البيت.

- خلاص يبقى احنا اللي هنيجي نبات معاك.

لم يستطع «مالك» أن يمنعهما واصطحبهما لمنزله ليمر أول يوم له في الحياة بدونها.

أعدت «هاجر» القليل من الطعام لشقيقها وزوجها لأنهما لم يتناولا الطعام من وقت وجودهما في المستشفى، جلس «مالك» معهما على المائدة لأنه شعر بهما وبخوفهما عليه. بدأوا في تناول الطعام بينما «مالك» يتظاهر أنه يأكل. قام من مكانه وأخذ ابنته وتحرك بها إلى غرفته، طلبت «هاجر» أن يتركها معها ولكنه صمم على اصطحابها معه.

حملها على كتفه ودلف بها غرفة والدتها، وضعها على السرير ثم بدّل ملابسه وعاد إليها مرة أخرى. لا بد أن ينام ليرتاح قليلًا لأن أمامه يوم طويل، وفترة أطول من التعازي من كل محبيه.

فرد جسده بجانبها ناظرًا إليها، يرى ملامحها وابتسامتها فيرق قلبه إليها. يقبلها ويحتضنها، ابنته التي لم تأخذ اسمًا أو لقبًا حتى الآن. قرر أن يسميها «حور» على اسم والدتها، لتهبها عمرًا أطول من عمرها الذي انتهى كما وهبتها والدتها حياتها. قبّلها أخيرًا ثم تركها لتنام وبدأ في النوم بجانبها.

لا يعرف كم من الوقت مر حين استيقظ على بكاء طفلته، حملها وحاول تهدئتها لكنها لا تبالي، حاول إطعامها من اللبن الصناعي الذي أعطته «هاجر» له فرفضته. شم رائحة غريبة فتذكر حديث شقيقته عندما أخبرته عن ذلك. تريد أن يغير لها الحفاضة ليهدأ جسدها. خرج ليجد «مصطفى» أحضر بعض الحفاضات وتركها على السفرة بعد توصية «هاجر» التي أصبحت أمًا للطفلة منذ ولادتها.

أخذ واحدة ثم تحرك بطفلته إلى دورة المياه، نزع عنها الحفاضة المتسخة ونظف ابنته بالماء ثم وضع لها قليلًا من بودرة الأطفال ثم ألبسها الحفاضة الجديدة. هدأت ملامح الطفلة قليلًا وابتسمت له ولأول مرة يبتسم «مالك» في وجه الصغيرة التي لا تعرف ماذا حدث أو على أي حياة مقبلة. عاد بها مرة أخرى بعد أن نظف مكانه كما كانت ترجوه دومًا زوجته. كان يشاكسها دومًا، كان يفعل كل ما يثير حفيظتها عن قصد. ولكن الآن ولأول مرة ينظف «مالك» مكانه عن قصد حتى ينال رضاها بعد أن تركته وهجرته وفارقت الحياة.

حاول أن ينام مرة أخرى فأبى النوم أن يزوره ثانية، بدأ يلاعب الصغيرة إلى أن نامت مرة أخرى وخرج هو للشرفة ليرى الناس يتحركون في كل مكان كأن شيئًا لم يكن. الحياة لا تتوقف على مغادرة أحد إنما تكون أصعب.

ظل جالسًا في غرفته يتذكر «حور» بكل تفاصيلها، يتذكر كيف كان حضورها طاغيًا على المكان وكيف كان وجودها يدب الحياة في البيت. تذكر كلماتها ولمساتها وحنانها عليه وكأنها والدته. لا يعلم لماذا تركته، لا يعرف ماذا حدث لأن تفارقه مبكرًا.

وعدته دائمًا أن تظل بجانبه لكنها لم تفعل. كان الوقت قد قارب على الظهيرة فاستيقظت «هاجر» ومعها زوجها وبدأت الحركة في المنزل تحضيرًا لاستقبال المعزين. لم تفارق «حور» الصغيرة كتف أبيها في كل شيء. كانت عندما تبكي يعطيها لـ«هاجر» لتطعمها أو تغير لها ملابسها وتعيدها إليه مرة أخرى. مر النهار بين عمال الفراشة والتحضيرات لتجهيز الصوان لبدء العزاء.

كان كل من يرى «مالك» تلمع عيناه حزنًا عليه وهو يحمل طفلته التي لم تكمل يومها الثاني في الحياة. الناس لا تدري ماذا تقول له، هل يعزونه في مصيبته أم يباركون له مولودته الصغيرة.

سمع الجميع أذان صلاة المغرب فتحرك «مالك» للمسجد برفقة صديقه الذي لم يفارقه ثانية واحدة. توضأ وصلى المغرب، بكى كثيرًا وهو يدعو لها في صلاته حتى شعر به كل من حوله. انتهت الصلاة وعزاه المصلون وأخذه صديقه ليقف في الصوان ليستقبل المعزين.

بدأ الشيخ في قراءة القرآن، وبدأ الناس يأتون من كل صوب وحدب. كان عزاءً كبيرًا اجتمع فيه جميع أهل المنطقة يساندون فيه ابن بلدتهم ومنطقتهم. عزاه الجميع وباركوا له مولودته التي لم تفارقه من أول العزاء لآخره.

انتهى الجميع من تعزية «مالك» في خسارته، أنهى الشيخ تلاوته، بدأ الناس في الرحيل وكأن شيئًا لم يكن. كان «مالك» ينظر للناس دون أن يراهم. لم يكن يشعر إلا ب«حور» يتيه تلك التي فارقته وتلك التي على كتفه.

غادر الجميع وبدأ عمال الفراشة في فك الصوان، حاسبهم «مالك» وشكرهم ثم صعد مع صديقه الذي هون عليه كثيرًا بوجوده جانبه كما يفعل دومًا. دلف «مالك» شقته ليجد النسوة متشحات بالسواد لم يستطع تمييزهن من ملابسهن السوداء، تحركت شقيقته ناحيته لتأخذ الطفلة منه فرفض. جلس على كرسي بعيد عن الجميع قريب من غرفته. كانت خالته وأولادها قد حضروا من القاهرة ليعزوه.

كان الكاسيت مفتوحًا على تلاوة القرآن وكان بعض النسوة يبكين على هذه الخسارة التي ألمت بالبيت ومن فيه. انتهى كل شيء وبدأت النسوة في الرحيل، قام «مالك» من على كرسيه متجهًا إلى الغرفة لأنه يعرف أن النسوة أتين ليعزين والدة «حور» وشقيقته.

وضع طفلته على السرير ليسمع طرقات الباب ليجد شقيقته تطلب منه الخروج لأن إحداهن تريد تعزيته.

خرج من غرفته ليجد تلك العجوز التي ساعدها على حمل حقائبها يومًا ما، تلك العجوز التي حضرت خطبة شقيقته وفرحه وأحس بوجودها أن والدته ما زالت تحيطه بحنانها، تلك السيدة التي زارها أكثر من مرة قبل وبعد زواجه. إسعاد كان ذلك اسمها وكانت ملامحها حنونة كثيرًا تشبه والدته في كل شيء.

بمجرد أن علمت بوفاة زوجته أتت تاركة كل شيء لتسانده.

أعطى «مالك» ابنته لشقيقته ثم ارتمى في أحضان تلك السيدة التي شعر بوجود والدته بعد أن حضرت. بكى بصوت مسموع وحيل مهدود بعد خسارة «حور»، بعد خسارة حياته بعد أن وجدها. ضمته السيدة العجوز بحنان وربتت على كتفه كثيرًا إلى أن هدأ، كان قد حكى لشقيقته عنها لكنهما لم يتقابلا قبل ذلك. أحست «هاجر» بشيء غريب في «مالك» وفي تلك العجوز التي أعطى حضورها مزاجًا غريبًا في البيت.

جلسوا جميعًا في الصالة، جلست السيدة العجوز بجانب **«مالك»** مباشرةً. لم تعطِ فرصة لأحد أن يتكلم، تشعر بوجع **«مالك»** لأنها ذاقته قبل ذلك بسنين. قالت:

- أنا عارفة إحساسك دلوقتي يا حبيبي.. حاسس أن الدنيا فضيت من حواليك.

قال:

- حاسس أن مبقاليش أي فايدة أو هدف في الحياة.

ابتسمت له وبدأت عينها في اللمعان، تتذكر يوم تلقيها خبر وفاة زوجها. قالت:

- عارف يعني إيه الناس كلها فرحانة بفوزنا في الحرب وانا بس اللي موجوعة وحاسة اننا خسرنا.. أنا خسرت جوزي وكل دنيتي وسابني لوحدي في الحياة من غير هدف.

أخبرته أنها عاشت حياتها تبكيه واستمر عمرها على ذكراه فقط لكنها اكتشفت أن بقاءها كان لسبب أهم، بقاؤها كان لتربية طفلته لتصبح كما تمنى والدها دومًا. أخبرته أن الرصاصة التي قتلت زوجها قتلتها قبله وأن ألم فراقه مستمر معها ولكن اطمئنانها على ابنتها الآن في بيت زوجها الذي يراعي الله فيها وتعيش معه في

سعادة هذا هو ما يجعلها تشعر أنها أتمت رسالتها وأن زوجها مرتاح في مكانه الآن.

أشارت لـ«هاجر» لتعطيها الصغيرة، تناولتها وقبّلتها ثم وضعتها على فخذها وقالت:

- الحتة من امبارح ملهاش كلام غير عنك وعن بنتك، حتة اللحمة الحمرا دي مين هيربيها ومين هيرعاها لغاية ما تشوفها عروسة.

لا يستطيع «مالك» أن يسيطر على دموعه أو روحه المجروحة، تابعت العجوز:

- لازم تفوق بسرعة عشان بنتك.. لازم تقف تاني على حيلك عشانها وعشان تربيها كويس كأن أمها موجودة وزيادة.

ظلت بجانبه، تتكلم معه وتسانده وتخبره أنها تشعر بما يدورَ في قلبه ورأسه. خسارة كبيرة لا يستطيع أن يجتازها بسهولة. وقفت مع شقيقته في المطبخ لتعد له طعامًا من يدها وأصرت على تناوله الطعام وليس مجرد التمثيل أمامهم أنه يأكل.

كانت له كوالدته وأكثر. طلب منها أن تزوره دومًا فقالت:

- أنا جمبك طول الوقت يا بني.

سألته قبل أن تغادر:

- هتسمي بنتك ايه؟

- «حور».

قالها وهو يتألم، قالها وهو يخبرهم أنها ستظل حاضرة في هذا المكان. لمعت أعين الجميع لما شعروا به في كلمته. ابتسموا وأخبروه أنه فعل الصواب.

مرت أيام العزاء بطيئة موجعة، ذهب إلى السجل المدني لتسجيل ابنته باسم «حور» وإخراج شهادة وفاة لزوجته. كان الجميع عندما يراه يشعر بالشفقة عليه، يعزونه ويباركون له في نفس الوقت. رغم أنها لم تكن حبه الأول فإنها أصبحت كل شيء لما أعطته له. أعطته طفلته التي طالما انتظرها. تمر الأيام عليه ببطء قاتل، رجع إلى عمله بعد انقطاع دام طويلًا.

تدور حياته بين رعاية طفلته وزيارة زوجته في قبرها وبين عمله ومنزل شقيقته التي أصبح الذهاب إليه فرضًا يوميًا لأنها ترعى «حور» في فترة عمله. يعود من عمله إليها يأخذ طفلته ويذهب بها إلى منزله يتناول برفقتها الطعام كأنها رفيقته.

كان كل شيء باهتًا في غيابها، كان الشيء الوحيد الذي يهوّن عليه ما حدث هي تلك الصغيرة التي كلما ابتسمت له أنسته كل ما حدث.

أصبحت الحياة مملة خالية من البهجة، بطيئة، قاتلة لكل الأحلام التي خطط لها مع «حور» في يومٍ ما. لم يكن يتخيل أنه سيعشقها هكذا، أو يحبها كل هذا الحب الذي أنساه كلَّ شيء مضى.

يجلس في غرفته بعد أن نامت الصغيرة ليرى من تفتح الباب وتدخل عليه غرفته وتجلس بجانبه، تنظر للصغيرة وتبتسم، تخبره كم هي تشبه والدها وكم هي جميلة ككل شيء عاشته معه.

ابتسم وأخبرها أنها تجامله وأن هذه الصغيرة هي نسخة منها. حمل طفلته ووضعها في سريرها الصغير ثم عاد إلى «حور» مرة أخرى وأخذها بين ذراعيه لتنام في حضنه إلى الأبد. فجأة وجد نفسه يحتضن الهواء، نظر حوله لم يجد شيئًا فترك رأسه للوسادة ليذهب في نوم عميق تاركًا كل شيء للحياة التي كلما أرادت أن تصالحه تخطئ في التقدير فتصفعه صفعة ينهار بعدها ولا يعلم ماذا يجب أن يفعل. ترك كل شيء وأخذها في حضنه وذهب في سبات عميق.

عادت الحياة الرمادية مرة أخرى، عاد كل شيء باهت. لم تمهله الحياة الكثير لينعم بحنانها أو حبها. أخذتها منه أسرع مما يتخيل. تمر

الأيام بطيئة عليه لا يهوّن عليه الأيام سوى وجود ابنته في حضنه. يجلس في الشرفة وابنته برفقته ممسكًا هاتفه المحمول يشاهد فيه تسجيلًا كان بينهما. اعتادت دائمًا أن تقوم بتصويرهما معًا وهما يقومان بأي شيء عشوائي. ينظر إليها وهي تتحدث إليه ويتأمل تفاصيلها، غير مصدق أنها فارقته بهذه السرعة.

بدأت ابنته في الصراخ فوضع اللبن الصناعي في يدها لتتناوله بدلًا عن صدر أمها التي غابت عنها للأبد، سكتت بعد لحظات بينما «مالك» متابعًا التسجيل محاولًا الشبع منها. شعر ببعض الجوع فقام من مكانه إلى الثلاجة محاولًا جلب أي طعام ليسد جوعه. تذكر شيئًا فسارع ناحية الفريزر ليخرج منه الوجبات التي أعدتها له زوجته وتركتها في الفريزر للتجمد ويستطيع تسخينها إن لم يجد ما يأكله. سألها حينها عن سبب فعلتها هذه فقالت:

- أنا هولد قريب يا حبيبي وساعات مش هقدر اعمل لك أكل.. فتطلع من الفريزر علطول وتسخن وتاكل بالهنا والشفا.

أخرج طعامًا مجمدًا وبدأ في تسخينه، يجلس ابنته بجانبه في أرضية المطبخ حتى لا تغيب عن ناظره. تذكر شيئًا آخر فقلب في هاتفه وفتح التسجيل الذي سجله لها عندما استيقظ من نومه ليجدها في المطبخ تعد طعامًا كثيرًا وكان السبب هو فترة الولادة وتعبها أثناء هذه الفترة.

دخل عليها المطبخ ثم قبّلها من كتفها وبدأ في تصويرها. بدأ ضاحكًا:

- ومعانا الشيف «حور».. تحبي تقولي إيه لجمهورك يا فندم.

ضحكت على كلامه ثم قالت:

- والله انا بحمد ربنا على المستوى اللي وصلت له ودا نتيجه لجهد مكثف ومتواصل وبحب اوصي الناس تجرب الوصفات دي بمقاديرها والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ضحكا معًا بينما يبكي هو وتنزل دموعه وهو يشاهد الفيديو. أنهى تسخينه للطعام وجلس بجانب ابنته على الأرض يأكل بجانبها ويحكي لها عن والدتها ومدى حبه لها. يشفق الجميع عليه وعلى ابنته، لا يعلم أحد كيف سيعيش الباقي من عمره بمفرده وكيف سيستطيع تربية ابنته.

انتهى من تناول طعامه ودلف إلى غرفته لينام، لم يجد النوم في عينه مكانًا فقرر أن ينزل برفقة ابنته ليتجول بها قليلًا، يريها بعض الأماكن التي كانت تضمه هو وزوجته وتعطيهما القليل من السعادة في هذه الحياة التعيسة التي ما لبثت أن أعطته زهرة ينعم بجمالها ورائحتها إلا أن أخذتها منه مرة أخرى وحرمته منها.

-٨-

تمر الأيام عليه بصعوبة، استيقظ باكرًا، قرر الذهاب إلى المستشفى ليطمئن على والدة «مريم» قبل الذهاب إلى العمل، وصل سريعًا، دلف إلى المبنى وصعد مباشرةً إلى غرفتها، لم يجدها، سأل عنها فعلم من الجميع أنها خرجت برفقة ابنتها وغادرا المستشفى منذ قليل.

تحرك لعمله، أخرج هاتفه وقرر الاتصال بها ليطمئن على والدتها.

جاء صوتها هادئًا مرهقًا:

- ألو.

- ماما ازيها دلوقتي؟

- بقت أحسن الحمد لله بس زعلت أوي إنك مشيت من غير ما تشوفك، فاكر.. المرة اللي فاتت برضه عملت كدا وسيبتني ومشيت من غير حتى ما تسلم

حاول تهدئة أنفاسه، ثم قال:

- وقلتِ لها ليه بس إني كنت موجود!

- عادي يعني.. كان لازم تعرف مين وقف جنبي، مش كفاية معرفتش برضه أول مرة

لم يلمها وإنما طلب منها رعاية والدتها باهتمام وأن تتصل به مباشرةً إن احتاجت شيئًا. هم بالإغلاق لكن سمع صوت والدتها تسألها:

- بتكلمي مين يا حبيبتي.

وقبل أن يخبرها ألا تقول لها الحقيقة قالت:

- دا «**مالك**» يا ماما.

أشارت لها أن تعطيها الهاتف ثم قالت:

- بقى مش عيب عليك يا واد انت تكون موجود ومشوفكش.. انت معزوم عندنا على الغدا النهار دا.. هات مراتك وتعالى.

نزلت على قلبه هذه الكلمات كالصاعقة. شكرها فقط، لم يخبرها بأي شيء. حاول الاعتذار ولكنها صممت. طلب منها أن يحدد موعدًا يناسبه ولكنها صممت قائلة:

- مش عايزني ابارك لك يا بني على جوازك مش كفاية معزمتنيش.

كانت دموعه محبوسة في صدره كاللهيب. أخبرها أنه سيكون عندهم في الموعد ثم أغلق مباشرةً. ذهب لعمله، يشعر الجميع بوجعه الذي يزيد يومًا عن يوم. كل شيء يذكره بها. أصبح مطالبًا أن يفعل كل شيء بمفرده بعد أن كانت تحمل عنه كل شيء مهما كان بسيطًا. أنهى عمله ومنه إلى المحل ليباشر عمليات البيع والشراء فيه.

جاءه اتصال «مريم» التي تؤكد عليه الموعد، أخبرته وهي تبتعد عن والدتها:

- لو مش عايز تجيب «حور» معاك عشان متضايقش اعمل دا عشان متضايقهاش.

- لا خالص مش هتضايق.. على خمسة بالظبط هكون عندكم.

قام من مكانه وأغلق المحل وتحرك لمنزل شقيقته، دخل وجلس بجانب ابنته التي تنام على الأريكة بجانب «مصطفى» وابنه سيف. قال لـ«هاجر»:

- لبسي «حور» أحلى حاجة عندها عشان واخدها مشوار مهم.

غير مدرك ما هو مقبل عليه، لا يستطيع فهم نفسه. كان من الممكن أن يخبرهما في الهاتف أن «حور» ماتت وهي تلد ابنته الصغيرة ويرفع عن نفسه كل هذا الحرج. ولكن جلس بجانب «هاجر» وهي تجهز ابنته، سألته:

- رايح بيها فين يا «مالك»؟

لم يرد أن يخبرها الحقيقة، قال:

- هفسحها شوية.. هنغير جو بدل مانا كل يوم آجي آخدها ونروح ننام.

لم تصدقه ولكنها لم ترد أن تضغط عليه، تعلم أنه سيأتي لها ويحكي لها ما يخفي. انتهت من تحضير «حور» الصغيرة وأعطتها لأبيها ليتناولها على كتفه ويتحرك بها مغادرًا إلى منزل «مريم» الذي لم يدخله منذ أن اكتشف كذبها عليه.

أحضر زهورًا بيضاء ليعطيها لوالدتها، وصل أسفل المنزل واتصل عليها يخبرها بقدومه لتستقبله. صعد السلالم بتوتر واضح على ملامحه، ينظر لابنته التي تبتسم له فيطمئن قلبه. قبل أن يضغط زر الجرس فتحت له «مريم»، مبتسمة بخدود متوردة وعين لامعة.

كانت تتوقع أن تراه بمفرده أو بصحبة زوجته. تفاجأت من اصطحابه لطفلة صغيرة، توقعت أنها ابنته لصغر حجمها وعمرها ولكن أين والدتها. لم تسأل، دلف إلى الداخل وجلس في الصالة أمام والدة «مريم» بعد أن أعطاها الزهور واطمأن على صحتها. كان كل شيء معدًا لاستقبال «مالك» وزوجته، فاجأهم «مالك» بذهابه

بدونها لا يصطحب إلا طفلة صغيرة. ابتسمت العجوز للصغيرة وطلبت منه أن يعطيها لها. ناولها ابنته، قبّلتها ثم سألته:

- مين القمر واسمها إيه؟

حاول أن يهدئ من اختلاج صدره المضطرب، تنفس ببطء ثم قال:

- دي «حور».. بنتي.

اتسعت عين «مريم» ووالدتها، وكأنهما توقعا ما سيقوله «مالك». ولكنه لم يقل شيئًا، سكت وحسب. سألته «مريم»:

- أومال فين مامتها؟

- الله يرحمها.

انصدمت «مريم» ووالدتها مما سمعتا، كلمة واحدة لم يقل غيرها. وقعت على قلبيهما كسهام شقتها نصفين. رددت «مريم» وراءه متسائلة غير مصدقة ما سمعت:

- ماتت؟

تناول «مالك» ابنته من يديها وضمها إلى قلبه ثم بدأ يقص عليهما ما حدث. أخبرهما بما تفاجأ به مثلهما في المستشفى، أخبرهما أن كل

الأمور كانت تمشي بطريقة سليمة وصحيحة إلى يوم الولادة. وفجأة وبدون أي مقدمات تأخذها الدنيا منه بكل سهولة.

ذرفت «مريم» دموعها على التي أخذت منها حبيبها، على التي استطاعت أن تنعم به ولو قليلًا.

بكت عليها بصدق، صدّق «مالك» دموعها.

عزته «مريم» ووالدتها، شعرتا بمرارة ما عانى. اقتربت العجوز منه، عانقته لتحمل عنه شيئًا مما يقع على كاهله. تبكي «مريم» ولا تستطيع أن تمسك دموعها. أفاقتهما ضحكة الصغيرة التي جعلتهما يوقنان أن «حور» لم تمت إنما هي باقية رغم رحيلها.

باقية في حياته بنسخة مصغرة منها تشبهها، رغم أنها تأخذ من ملامح «مالك» الكثير. شعرت «مريم» بشيء غريب تجاه «مالك»، شيء تحسه لأول مرة بعد كل ما مرت معه وبدونه.

قرأ ثلاثتهم الفاتحة لـ«حور»، دعوا لها أن تنعم بحياة أخرى في مكان أفضل من الدنيا بكثير. ثم قامت العجوز بالأخذ بيد «مالك» إلى السفرة ليتناولوا الغذاء معًا ويكملوا كلامهم بعد الطعام.

تناول معهما بعض الطعام ثم شكرهما على استضافتهما وغادر السفرة فقامت «مريم» وراءه وطلبت منه أن يدخل الشرفة وينتظرها تريد أن تتكلم معه قبل أن يغادر.

خرج «مالك» إلى الشرفة مع ابنته التي تلعب معه وتبتسم له، ويرى في ملامحها مستقبلًا مشرقًا لكن بمجرد أن يرجع بذاكرته للوراء قليلًا يرى أن المستقبل كان مع «حور» التي لم تعد موجودة.

قبّلها، ضمها لصدره وهو يتابع المارة في الطريق. تذكر والدتها واعتياده على الوقوف معها في الشرفة ليلًا قبل نومهما لمتابعة المارة والحديث معًا إلى أن يهاجمهما النوم. لا يدري ماذا تخبئ له الحياة ولا يعلم ماذا تريد منه «مريم» وما الذي تريد أن تتكلم معه فيه.

كل ما عليه هو الانتظار، انتظار «مريم» لتأتي وتتحدث إليه، انتظار الحياة لتخبره ماذا تخبئ له، انتظار أن تكبر «حور» وتصير الدنيا وما فيها، وانتظار لقاء زوجته.

قطع سرحانه دخول «مريم» عليه الشرفة وهي تحمل الشاي، ناولته كوبه ثم وقفت بجانبه تنظر إلى الطريق ثم بدأت تحكي له ما حدث لها.

بدأت «مريم» تقص على «مالك» ما مر بها وكيف حاولت أن تصبر نفسها بأي شيء ولكنها لم تجد شيئًا تصبر به نفسها، لم تكذب عليه مثلما فعلت سابقًا، كانت بحاجة للاعتراف، حكت له كيف

كذبت على «تامر» وأخفت عنه حقيقة مرضها خوفًا من أن تخسره أو أن يرفضها ويحطم أحلامها، «تامر» الذي كان يعاملها جيدًا في البداية وسار معها رحلة العلاج وهو لا يعرف أنها خدعته وأنها لم تكن صريحة معه من البداية، وعندما تأكدوا من استحالة علاجها وأن حملها خطر على حياتها، رفض موضوع الحمل تمامًا ووقف أمام أهله الذين حاولوا الضغط عليه من أجل أن يتركها ويتزوج غيرها لينجب لهم الطفل الذي سيرث الإمبراطورية الاقتصادية للعائلة، حماها ودافع عنها، حكت له كم شعرت بالذنب وهي ترى نفسها في غاية الأنانية وهي تظلم وتفسد حياة كل من أحبها، يوم أن قررت أن تترك «تامر» نهائيًا وتخرج من حياته، كان الوقت قد فات، علم «تامر» بالقصة كلها، عرف ما فعلته مع «مالك» وعلم أيضًا أنها كانت تكذب عليه طوال هذه المدة، استمرت في حديثها وقد هربت بعينيها من عيني «مالك» قائلة:

- لك أن تتخيل يا «مالك» هو كان شايفني ازاي، على قد ما حبني على قد ما شافني بشعة وأنانية، والله مكنش قصدي إني أضر أي حد يا «مالك»، بس كنت أتمنى إني أعيش حياة سعيدة هادية زي كل البنات، كنت فاكرة إني هقدر آخد الفلوس والأطفال وراجل يحبني ويحافظ عليّ كمان، ولكن للأسف مش كل الناس عندهم قلب زي قلبك يا «مالك»،

«تامر» اتحول لوحش، اتغير 180 درجة، وكأن ربنا أر... ليا إني أكَفّر عن ذنوبي في الدنيا قبل الآخرة، بعد ما واجهني واعترفت له وطلبت منه الطلاق.. وطلبت منه يسامحني، طبعًا كنت خايفة من رد فعله بس كنت مراهنة على حبه ليا وإنسانيته اللي شُفتها طول حياتي معاه، كمان انا كان عندي استعداد للعقاب وكنت حاسة إني هرتاح، لما اعترف له، بس كنت حاسة انه على الأقل لو مسامحنيش هيسيبني ويبقى دا أكبر عقاب ليا إني أكمل حياتي بعد كدا لوحدي

ثم ابتسمت ابتسامة صفراء تحمل مرارة لا حصر لها قائلة:

- لكن الحقيقة هو فاجئني بصراحة وكان مقرر قبلها هيعمل إيه.

توقفت هنا «مريم» عن الحديث ثانية وتلاشت الابتسامة الصفراء وسط فيض من المشاعر المتضاربة منها وهي تشعر بالأسى والألم لما حدث لها، ومن «مالك» الذي لا يعلم ماذا يقول لها، مع نظرات منه تحمل الشفقة والاحتقار معًا، والفضول أيضًا لمعرفة رد فعل «تامر»، لم تتمالك «مريم» نفسها أكثر من ذلك وسالت دموعها باردة على وجنتها وهي تذكر ذلك اليوم، وأكملت بكلمة واحدة مرتعشة:

- اغتصبني.

نطقتها وهي تدير نظرها تجاه «مالك» وعيناها مليئتان بدموع الألم والحسرة مكملة:

- فضل يضرب فيّ بكل قوته، تلات ساعات ضرب يا «مالك» لحد ما انهرت تمامًا ومبقتش قادرة اتحرك وبعدين.. وبعدين... اغتصبني.

بهت «مالك» ولم يستطع الرد.. هنا فقط قلبه انفطر.

أكملت «مريم»:

- أجبرني على الحمل منه، وقال لي ان دا أكبر عقاب ليا، قال لي انتِ كذبتِ وظلمتِ علشان تبقي أم، هتبقي أم، لكن هتموتي وانتِ بتولدي، هتبقي أم ومش هتعيشي لحظة علشان تستمتعي بإحساس الأمومة.

لم يستوعب «مالك» من فرط دهشته أن هناك إنسانًا يمكنه أن يتحول من شخص محب إلى شخص منتقم بهذا الشكل، وألجمه ما قالته فوجد نفسه تلقائيًا يحتضنها ويربت على كتفها مهدئًا ومواسيًا لها.. زادت «مريم» من تعلقها به عند هذه اللحظة وانفجرت دموعها مرتعدة وكأنها تختبئ به، مما زاد إحراج «مالك» عندما طالت من

تمسكها به وأبعدها برفق عنه.. فتراجعت «مريم» قليلًا وكفكفت دموعها وهي تمسح بيديها وجنتيها وأكملت حديثها:

- حملت فعلًا لأني طبعًا مكنتش عاملة حسابي ان دا هيحصل، وعشت تلات شهور رعب وانا بعِد أيامي في الحياة، مكنتش خايفة يا «مالك» من الموت، لكن كنت خايفة على الطفل اللي جاي، الطفل اللي عشت عمري بتمناه وبترجاه من ربنا اللي بقت حياته قصاد حياتي، كنت خايفة عليه لما ييجي هيعيش ازاي من غير أم ومع أب بالشكل دا، بس ربنا كان أرحم عليّ وعليه من البشر يا «مالك».. في الشهر التالت حصل لي نزيف كبير وكنت بين الحياة والموت ونقلوني المستشفى، بعد ما فقت عرفت ان الطفل سقط واضطروا انهم يشيلولي الرحم عشان يحافظوا على حياتي، وطبعًا «تامر» مكانش معايا ولقيته بصراحة دافع حساب المستشفى وسايب لي رسالة بيقول لي فيها انه طلقني وهو كدا راضي وشايف انه أخد حقه مني، وانه سايب لي المؤخر بتاعي وكل حقوقي في حسابي في البنك ومش عاوز يشوفني تاني.

- دا مريض!

- مش عارفة يا «مالك» اقول لك ايه، أصلًا مبقتش عارفة مين فينا اللي ظلم التاني، بس اللي متأكدة منه يا «مالك» إني دفعت تمن اللي عملته أضعاف أضعاف، رغم إني عارفة إني غلطت وظلمت كتير يا «مالك» بس حاسة إني مكنتش استاهل كل اللي حصل لي دا. وحاجة كمان متأكدة منها يا «مالك»، ان ربنا انتقم لك مني أشد انتقام، أرجوك سامحني يا «مالك».

قاطعها «مالك» قائلًا:

- أرجوكِ يا «مريم» مالوش لازمة الكلام دا دلوقتي، أنا عمري ما كنت أتمنى ان يحصل لك كدا ولا عمري فكرت في فكرة اني اخد حقي منك، الحمد لله ان ربنا نجاكِ، فكري في اللي جاي وسيبي الماضي للماضي، وفكري في حياتك الجاية اللي ان شاء الله تكون أحسن.

عادت الابتسامة المرة الصفراء تعلو وجهها قائلة:

- حياتي؟! وأحسن؟! خلاص يا «مالك» مفيش حياة بعد كدا، خلاص انا حياتي انتهت وانا لسة في العشرينات، مبقاش عندي أي فرصة يا «مالك» حتى إني احلم بحياة تانية.. إلا إذا..

قاطعها «مالك» ثانية وقد توقع ما تنوي «مريم» التلميح له متنحنحًا:

- أنا لازم امشي يا «مريم» الوقت اتأخر أوي و«حور» كمان نامت، خلي بالك من نفسك ولو احتجتِ حاجة اتصلي بيا في أي وقت.

فهمت «مريم» أنه عرف ما ترمي إليه وأنه لا يرغب في فتح أي كلام فاستسلمت، كيف لها أن تجبره على أي حديث في أي علاقة بينهما الآن بعد كل ما سمعه منها وبعد ما حدث لهما من تغيرات طوال فترة بعدهما عن بعضهما البعض، الجميع ذهبوا وتركوها والوحيد الذي أرادها كما هي داست على مشاعره وتركته وحيدًا يعاني بعد فراقها لم تتعاف سريعًا، وحاولت الوصول إليه أكثر من مرة لكنها كانت تجد محاولاتها غير صائبة لأنه مخلص لزوجته ولن يلتفت إليها. كم احتاجت لأن تعتذر له عما بدر منها. كم احتاجت أن تشكره على أنه الوحيد الذي أحبها دون التفكير في أي شيء آخر. انتهت بها الحياة مرة أخرى مع والدتها ترعاها دون أي جديد في حياتها إلى أن مرضت فلم تجد أمامها سوى أن تلجأ له في هذه المحنة. هو الوحيد الذي لن يستطيع أن يخيب آمالها مهما فعلت فيه.

فإن لم يكن يحبها فإنه رجل على حق لن يستطيع تركها في مصيبتها. وبالفعل عندما لجأت له وجدته عونًا وسندًا لها في محنتها وكان أول من حضر ليقف بجانبها في مرض والدتها.

«مالك» أيضًا في البداية لم يشعر تجاهها بأي شيء ولا حتى الشفقة، هي خانته، لم تفعل شيئًا سوى أنها خانت ثقته فيها، رغم أنه ضحى بالكثير من أجلها. ولكن الله عوضه عما حدث له بسببها، عوضه بـ«حور» التي أعطته حياة لن يجد مثلها مرة أخرى.

عندما كان يحتاجها لم يجدها وهي الآن تحتاجه ولم يستطع أن يكون مثلها. فجأة طلبت منه أن تعطيه «حور» تريد أن تضمها، تريد أن تشعر بإحساس الأمومة ولو مرة واحدة لم يستطع الرفض، رغم قلقه أعطاها ابنته ضمتها وقبّلتها كأنها لم ترَ أطفالًا من قبل شعرت بحنين كبير لها كأنها ابنتها وغادرتها منذ زمن. نظرت لـ«مالك» في عينيه مباشرةً لترى داخلها أي شيء لها لم تجد تعلم أن ألمه كان شديدًا وأن الوحيدة التي تحملت كل شيء لتراه سعيدًا هي «حور» وهو الآن موجوع عليها كأنه فقد الحياة كلها بعد رحيلها.

أخذ ابنته منها وهم بالرحيل، استأذن من والدتها ووعدها أن يكرر زيارته ليطمئن عليها بعد أن طلبت منه ذلك، شكر «مريم»

على الضيافة ثم ودعهما ورحل إلى بيته ليتحدث قليلًا مع «حور» قبل أن ينام، أصبحت هذه هي العادة التي تهوّن عليه فراقها، أصبحت كلماتها الرقيقة كل يوم قبل نومه هي ما تهوّن عليه حياته بدونها أحبها ولا يعلم إن كان سينسى كل هذا الوجع أم لا.

-٩-

بعد أن سمع منها حكايتها لم يجد أمامه سوى ذكرواه مع «حور»، تلك الوحيدة التي استطاعت أن تأخذه من أوجاعه وآلامه. لم تتغير حياته كثيرًا إلا في فترة وجودها بجانبه وبعد رحيلها عادت كما كانت باهتة تميل للسواد. جلس بجانب ابنته وفتح الأجندة التي تركتها له، بدأ يقرأ ما دوّنته ليعيش به بعدها.

رجع من العمل مبكرًا، دلف المنزل بدون أي صوت كي لا يزعجها أو ليفاجئها. تحرك ببطء متجهًا إلى المطبخ، اقترب منها من الخلف وضمها إليه. قبّلها ثم وضع يده على بطنها ليطمئن على الجنين. ضحكت فنزل على ركبتيه ووضع أذنه على بطنها ليسمع ما بالداخل. حركت يدها بين خصلات شعره لينظر لها بعين فرحة.

جلسا معًا على مائدة الطعام. سألته:

- مش ناوي تكمل الرواية اللي بدأت فيها دي من قبل ما تعرفني؟

تفاجأ من كلامها، ابتلع لقمة صغيرة ثم قال:

- أنا مبدأتش في حاجة يا حبيبتي.. كل الحكاية اني كنت عايز اطلع طاقة مكبوتة بس ساعتها واضيع وقت.

نظرت في عينه مباشرةً ثم قالت:

- بس «هاجر» قالت لي غير كدا.. قالت لي انك بدأت بس مكملتش.. ممكن اعرف السبب؟

- الكلبة دي.. حسابها معايا بعدين ازاي تقول لك حاجة زي دي؟

ضحكت «حور» على كلامه ثم قالت:

- انت اللي ازاي تخبي عليا حاجة زي دي.

أنهى طعامه وأخذ أطباقه معه إلى المطبخ وقال وهو يتحرك:

- مخبتش والله بس أكيد موضوع زي دا هيضايقك وانا محبتش اعمل دا.

قالت وهي تلحق به إلى المطبخ:

- بالعكس يا حبيبي.. هبقى مبسوطة لما اشوف الموضوع في رواية.. خصوصًا اني بحب القراية.. انت صح مكملتهاش ليه؟

ترك ما في يده ونظر إليها مباشرةً ثم قال:

- أنا لما حكيت لك كل حاجة كان كأني كتبتها ومظنش اني كنت هكتب اكتر من اللي قلتهولك.

اقتربت منه أكثر وقالت:

- بس انا عايزة بقى اقرا اللي كتبته ونشوف هتكملها ازاي.

انتهيا معًا من تنظيف الأطباق، جفف يده في مريلتها ثم تحرك إلى غرفة نومهما فتبعته بالشاي. فتح كرتونة كبيرة مليئة بالأوراق وأخرج منها أجندة لم يكتب فيها سوى صفحات قليلة. قال:

- دا اللي كتبته.

التقطتها منه فتابع قبل أن تفتحها:

- كنت بكتب قبل ما اشوفك.. ولما شفتك وقفت وبدأت احكي لك.

رجع برأسه للوراء وهي تتصفحها ثم قال:

- أنا كاتب فاشل أصلًا.. انا حكيت لك لأني معرفتش اكتب حاجة.

جلست أرضًا تقرأ فيها وتشرب من الشاي رشفات متتابعة ثم قالت:

- بالعكس.. بداية قوية جدًا وأسلوب كويس يا حبيبي.. لازَم تكملها.

جلس بجانبها وسألها:

- إيه اللي فكرك بالموضوع دا وليه بنتكلم فيه أصلًا؟!

قالت:

- معرفش بس حاسة أن حياتك ناقصة حاجة مهمة وأنها ممكن تكمل بالرواية دي طالما انت بتحب القراية فأكيد هتكتب رواية كويسة.

هز كتفيه دون أن يرد، انشغلت في قراءة السطور وانشغل هو في مراقبتها. انتهت منها سريعًا فنظرت له لتجده ينظر إليها، تحركت ناحيته وقبّلته في جبينه ليرد لها القبلة ويضمها إليه. أخبرته أنها تريده أن يعود مرة أخرى لتلك الرواية. هز رأسه موافقًا ولكن هناك شرطًا واحدًا.

- لما تولدي وتقومي بالسلامة كدا نبقى نقعد سوا نكتبها ونشوف ممكن نوصلها للناس ازاي.

هزت رأسها في فرحة، سألها عن سبب سعادتها فقالت:

- دا كان حلمي أصلًا من زمان بس انا مبعرفش اكتب ولما بالصدفة عرفت من «هاجر» الموضوع دا قررت احقق حلمي بيك.

قال:

- ربنا يستر على حلمك دا بدل ما ينتهي بيه الحال زي حاجات كتير بسبب كسلي.

قالت:

- حبيبي مش هيخيب ظني فيه أبدًا.

دخلا إلى السرير تاركين كل شيء وراءهما، ناما بعضهما في أحضان بعضٍ لا يفكران إلا في حياتهما القادمة وطفلهما أو طفلتهما التي ستصبح برفقتهما بعد شهور قليلة. سألته:

- بتحبني.

قالت عيناه قبل أن يجيب لسانه:

- كلمة بحبك دي قليلة أوي على اللي بحسه معاكِ.

أنهى قراءته لكلامها وعينه مليئة بالدموع، فجأة انتبه لصرخات طفلته فحاول تهدئتها، لكن صراخها يعلو ولا تهدأ.

غيّر لها حفاضتها وملابسها وحاول إطعامها ولكن دون جدوى. اتصل بـ«هاجر» يسألها ماذا يفعل فطلبت منه أن يحضرها إليها لترى ما بها، كان قلبه يكاد أن يخرج من مكانه قلقًا عليها.

تحرك إلى منزل شقيقته مسرعًا، وضعها بين ذراعيها وسألها:

- ما لها؟

أجابت بعد أن وضعت كفيها على جبينها لترى ارتفاع حرارتها:

- البنت سخنة جدًا.. لازم نوديها للدكتور.

أخذ طفلته مغادرًا إلى الطبيب مانعًا «مصطفى» أو «هاجر» من الذهاب معه، قرر عدم إرهاقهما قدر المستطاع بعد الآن، وصل إلى الطبيب الذي كشف عليها وأعطاه الدواء المناسب لها ليخفض حرارتها مباشرةً، كاد قلبه أن ينفطر عليها خوفًا، طمأنه الطبيب وأعطاه بعض النصائح بعد أن عرف خبر وفاة والدتها. ربت على كتفه وقال:

- ربما يكون في عونك بصراحة.

ابتسم وقال:

- أختي كتر خيرها بتاخد بالها معايا من البنت.

عاد بطفلته إلى المنزل بعد أن اتصل بشقيقته وطمأنها عليها، أخبرته أنها ستكون عنده في الصباح لأنها تريد أن تتحدث معه قليلًا. دخل إلى غرفة النوم مباشرةً وأخذ ابنته في أحضانه بعد أن قرر أن ينفذ رغبة «حور» ويحقق لها ما تمنت.

استيقظ «مالك» مبكرًا كعادته، ارتدى ملابسه ثم أخذ طفلته ليتركها في بيت شقيقته ويذهب إلى عمله، نزل السلالم بهدوء حاملًا «حور» على كتفه ليرى «هاجر» تجلس في الحديقة الخاصة بمنزله، اندهش لرؤياها، تحرك ناحيتها، تكلم لتشعر به:

- «هاجر»!

كانت تجلس في أرضية المكان، حولها كل ما هو جميل، ورد زرعه «مالك» بيده وأعشاب خضراء تزين أرض الحديقة، التفتت له ثم قالت:

- تعال اقعد يا حبيبي.

جلس أرضًا بجانبها، سألها:

- خير يا حبيبتي.. فيه حاجة؟

ابتسمت له ثم أجابت:

- أنا اللي جاية اسألك يا «مالك».. فيك إيه؟

فهم ما ترمي إليه، نظر أرضًا ولم يجب. كررت سؤالها فقال:

- مفيش يا «هاجر» والله.. كله تمام.

قالت وهي تلعب بيدها في الأعشاب التي تزين المكان:

- إيه حكاية «مريم» يا «مالك».. راجعة عايزة إيه؟

هز كتفيه وهو يقول:

- معرفش والله.. أمها كانت تعبانة ولجأت لي ومعرفتش مروحلهاش.

- طب انت وقفت جمبها عشان «مريم» نفسها ولا زيها زي أي حد بيحتاج لك.

ظل ناظرًا إلى الأرض، لم يستطع أن ينظر إليها وهو...

- زيها زي أي حد.. انتِ أكتر حد عارف انا كنت عامل ازاي قبل «حور» و«حور» قدرت تغير حياتي ازاي.. فمش بسهولة كدا هسامح «مريم» واعتبر أن كل اللي حصل عدى وفات.

- أنا خايفة عليك يا «مالك».

نظر إليها وربت على كتفها قائلًا:

- متخافيش يا حبيبتي.. كله هيبقى تمام.

عقدت حاجبيها وقالت:

- لا يا «مالك» كله مش هيبقى تمام.. انت مش شايف نفسك عامل ازاي؟

- عامل ازاي يا «هاجر»؟

أخذ نفسًا طويلًا وتابع:

- حزين يا «هاجر».. حزين على «حور».. حزين على أكتر حد وهب حياته عشاني.

- و«مريم» دي اللي ظهرت لك من تحت الأرض لما عرفت أن «حور» ماتت.

لم يعقب على جملتها، لا يحب سماع أنها ماتت، لكنه أجابها:

- مكانتش تعرف.. هي اتصلت عليا عشان مكانش حد معاها في محنتها وصدقيني مالهاش مكان في حياتي.. متخافيش بقى كله هيبقى تمام والله.

نظرت في عينه متمنيةً أن يكون صادقًا معها، تريده أن يصبح بخير ولا تريده أن يؤذي نفسه بعد كل الذي يمر به، وقفا معًا وتحركا لمنزل «مصطفى» ليترك «مالك» الصغيرة مع شقيقته، وصلا سريعًا فطلبت «هاجر» أن يتناول الفطور معهما لكنه رفض وغادر مسرعًا إلى عمله، وهو في طريقه جاءه اتصالها فلم يرد فوجد رسالة بعد إنهاء الاتصال مباشرةً، فتحها ليجدها تقول:

- صباح الخير يا «مالك».. مبتردش عليا ليه؟

رأى الرسالة ولم يرد، تأكدت حينها من وجود الهاتف بين يديه فأرسلت له رسالة أخرى وهي تجلس في غرفتها تتكور على نفسها ولا تفعل أي شيء سوى محادثته:

- ينفع يعني يا «مالك» تشوف المسج ومتردش.. افرض كنت في مصيبة ومحتاجاك؟

زفر بضيق ثم أجابها في رسالة نصية:

- خير يا «مريم».. فيه حاجة؟

شعرت بضيق بين حروفه، توترت لما رأت فقالت:

- أنا مش عايزاك مضايق يا «مالك».. أنا بس بطمن عليك.

كان قد وصل إلى عمله، جلس على مكتبه بعد أن ألقى التحية على الجميع، قال:

- أنا كويس يا «مريم».. كلامنا بس مالوش أي سبب مش أكتر.

ابتسمت كأن فرصتها قد أتت، قالت:

- لا طبعًا ليه سبب.. أنا لما احتاجتك طلبت منك تبقى جمبي لقيتك، دلوقتي انا حاسة إنك محتاج حد يبقى جمبك ويكون فاهمك كويس خصوصًا بعد اللي حصل.

نزل كلامها على قلبه كسكين حاد، لم يرد، عندما تأخر في الرد عليها شعرت بأنها جرحت مشاعره فأرسلت رسالة أخرى:

- مقصدش اوجعك والله يا «مالك» بس أكيد انت محتاج حد جمبك.

أجابها باقتضاب:

- أنا كويس ومش محتاج حد جمبي يا «مريم».

شعرت أن الحديث معه الآن لن يجدي، ستتركه يكمل عمله ثم تعاود الحديث معه في وقت لاحق، فقالت:

- خلاص يا «مالك» اللي تشوفه بس سيبني من وقت للتاني اطمن عليك.

هي لا تريد منه أي شيء سوى أن تطمئن عليه، لترد له كل ما فعله لها منذ أول يوم التقاها فيه، هو من أخرجها من حالتها المزرية بعد مرضها، وهو من قرر ألا يضرها في حياتها بعد أن قررت أن تتركه لتحاول أن تبحث عن فرصة أفضل من وجهة نظرها لتصبح أمًّا في يوم من الأيام، وهو من لم يرفض طلبها ليكون بجانبها في مرض والدتها، هي فقط بكل هذه الاتصالات والرسائل تريد أن تكون بجانبه في محنته، لا تعلم مدى وجعه بسبب ما حدث لزوجته.

مر يوم «مالك» بطريقة طبيعية في عمله، بدأ جميع زملائه في العمل ينسون وفاة زوجته ويتعاملون معه بطريقة عادية، عاد كل شيء بينهم كما كان، مزاحهم ونكاتهم تعود كما كانت كأن شيئًا لم يكن، يحاول «مالك» أن يعود معهم كما كان حتى لا يصبح نشازًا بينهم، يضحك معهم بملامحه فقط بينما قلبه صامت وهادئ بسبب ما أصابه.

يجلس في محله الذي أصبح كل حياته بعد ابنته، فتح اللاب توب وفتح ملف الرواية التي كان قد بدأ فيها قبل زواجه من «حور» أراد أن يقرأ ما كتب مرة أخرى ليستمر في كتابتها كما أرادت منه «حور» دومًا، لم يستطع «مالك» أن يسطر فيها حرفًا واحدًا، وجد نفسه قد انشغل الفترة الأخيرة عن القراءة بكل ما حدث، عاد مرة أخرى يقرأ بنهم كما كان يفعل دومًا، لم يكن في حياته الآن إلا (ابنته، العمل، القراءة والكتابة) فقط، أصبحوا أهم ما في حياته بعد زوجته التي لم تفارقه ثانية واحدة.

-١٠-

أصبحت حياة «مريم» لا يوجد بها سوى والدتها فقط لا غير، حاولت جاهدة أكثر من مرة البحث عن عمل وإن كان من المنزل لكنها فشلت في ذلك. معاش والدها ووالدتها يجعلانها تعيش حياة كريمة فلا تضطر للعمل إن لم تجده، رصيدها في البنك الذي تركه لها «تامر» لا تفكر أبدًا في اللجوء إليه محاولة تجنب أي أثر يذكرها به، بمجرد أن تكون بمفردها بعد نوم والدتها تجد نفسها تفكر في «مالك» وما وصلت إليه حياته، تارةً يجيب على رسائلها وتارةً أخرى لا يعطيها أي اهتمام، لم تجد نفسها تفكر في زواجها القديم قطّ كأنه تجربة علمية بحتة فشلت فيها ولم تفكر فيها على الإطلاق، كان كل تفكيرها في تعويض «مالك» عما فعلت به وعما وصل له الآن بعد وفاة «حور» التي علمت جيدًا أنها استطاعت أن تجعل قلبه يدق من جديد.

جلست بجانب والدتها مساءً وسألتها:

- هو إحساس الأمومة دا حلو يا ماما؟

خفق قلب والدتها للسؤال، شعرت بألم ابنتها بسبب ما مرت به منذ صغرها، قالت وهي تحاول التماسك أمامها:

- دا إحساس جميل أوي يا بنتي.. بس ممكن يتعوض بأي حاجة تانية لو حكمة ربنا في إنه ميكونش موجود.. ممكن يتعوض بنجاح في شغل أو زوج يكون بيحبك ومش عايز غيرك من الدنيا.

قالت «مريم»:

- وانا يا ماما معنديش دا خالص.. ولا شغل يلهيني واحاول انجح فيه ولا حد ميكونش عايز في الدنيا غيري.

- انتِ لسة ملقتيش شغل برضه.. طب يا بنتي ما تعملي أي مشروع بالفلوس اللي سابهالك جوزك، اهو تشغلي نفسك بحاجة وفي نفس الوقت تبدأي حياتك وتقابلي ناس جديدة ويبقالك هدف تسعي وراه.

- مش عاوزة من الفلوس دي حاجة، أنا زهقت من الفلوس ومن كل حاجة يا ماما، كل اللي كان نفسي فيه إني أحس إحساس الأمومة.. ودا خلاص عمره ما هيحصل.

- طب إيه رأيك ما تفتحي حضانة

سكتت «مريم» قليلًا تفكر في كلام والدتها وقد راقت لها الفكرة، ليس لكونها مشروعًا مضمونًا فقط ولكن لأنها بذلك ستستطيع أن تعوض إحساس الأمومة الذي حرمت منه، يمكنها أيضًا أن تقنع «مالك» أن يأتي بـ«حور» لها في الحضانة وبذلك يكون هناك سبب لأن ترى «مالك» كل يوم وتقرب منه أكثر، كانت تريد أن تخبر والدتها أن الوحيد الذي تريده من الدنيا هو «مالك» ولكنها لم تستطع البوح بذلك.

أصبحت علاقته بابنته أقوى، أصبحت تميزه دون الجميع وكأنها تعلم أنه والدها، ابتسامتها تعيد له حياته بعد أن فقدها، قرر في هذا اليوم ألا يذهب إلى البيت مباشرةً، أخذها ليشتري لها عروسة صغيرة تشبهها، في طريقه لمحل الهدايا وجد امرأة تحمل صغيرتها على ظهرها في حقيبة تشبه حقائب الظهر، اقترب منها، ثم سألها:

- لو سمحتِ ممكن أجيب الشنطة دي منين؟

نظرت له نظرة غريبة ثم قالت:

- اسأل مراتك.. أكيد هي عارفة بتتباع فين.

للحظة تأكد «مالك» من شيء لم يكن في الحسبان، ظنت أنه يعاكسها، كان يريد أن ينسحب بهدوء دون أن يرد ولكن هناك شيئًا بداخله أراد توضيح ما حدث، قال:

- مراتي ماتت وهي بتولد بنتي ومعرفش ممكن اجيبها منين عشان اسألها.

أنهى كلامه وغادر مسرعًا تاركًا المرأة تلعن نفسها بسبب تسرعها على ما فعلت، حاولت أن تلحق به ولكنه اختفى بين الناس هو وابنته، كان يحمل ابنته على كتفه ويحبس دموعه بين جفونه، سأل عن محل حقائب ودله أنه يمكنه أن يجد ما يبحث عنه بمحلات بيع مستلزمات الأطفال ووصف له البائع واحدًا، لام نفسه لأنه لم يفعل ذلك مباشرةً ولكنه لم يكن يعرف أن الناس أصبحوا لا يظنون بعضهم في بعضٍ خيرًا، وضع طفلته في الحقيبة وحملها أمامه مباشرةً، بدأ يتجول بها داخل المكان، كان يتمنى أن تكون «حور» معه، اشترى لها عروسة صغيرة وضعها أمامها ثم دفع ثمنها وأخذ ابنته وغادر بها متجهًا إلى المنزل، تنظر الصغيرة له وتبتسم وكأنما تريده أن يتحدث معها، سألها:

- عارفة ماما بتحبك قد إيه؟

ابتسمت الصغيرة له، دبت السعادة في قلبه لذكرها في حديثه ولابتسامتها. قال:

- ماما كانت مستنياكِ على نار يا حبيبي.. وبتحبك جدًا، عارفة ان هي اللي طلبت مني اجيب لك العروسة دي.

كان يسير وهو لا يرى غيرها في طريقه كأنها سكنت الجميع، كانت ابتسامتها أمامه أينما ذهب، وملامحها ترتسم على وجه الصغيرة، يشعر أنه لم يعطها نصف ما أعطته، حتى وهي ميتة وهبته الحياة بوجود الصغيرة معه.

مرت الأيام والشهور تشبه بعضها بعضًا. كانت «مريم» تحاول جاهدةً الاقتراب لتجعل من حياة «مالك» أفضل بعد كل ما حدث. تعلم أنه لن ينسى «حور» لأنها ماتت، هو استطاع أن ينساها لأنها هجرته وهي على قيد الحياة، أما «حور» فقد أحبته وفارقت الحياة فلن يستطيع أن ينساها وإن نسى شيئًا عنها فالصغيرة تذكره دائمًا بوجودها.

لم تترك له فرصة أن يهرب منها، كانت له بالمرصاد على جميع وسائل الاتصال، تارة تتصل به لتسمع صوته وتارة تراسله على

الواتس وتارة تذهب له للمحل بحجة شراء بعض الأشياء منه، كانت تتحمل طريقته الفظة معها، تحملت جميع صدماته لها لأنها علمت ما فعلت به جيدًا بعد أن رأت حبه لـ«حور». كان وجعه واضحًا وضوح الشمس للجميع ولأنها أحبته كانت تعرف ما يمر به جيدًا.

دخلت عليه المحل فهم واقفًا محاولًا الخروج وطلب منها المغادرة لأنه يريد أن يغلق المكان، لم تستمع لما قال، نظرت له وعينها مليئة بالدموع ثم قالت:

- فاكر يا «مالك» أول مرة شوفنا فيها بعض؟

دلف إلى الداخل مرة أخرى، فتح اللابتوب ثم طلب منها تقرأ الصفحة التي أمامها، مسحت دموعها وجلست لتقرأ:

((استغل فرصة انشغال الممرضات بالحالات الجديدة.. تحامل على ألمه واستند على السرير الحديدي.. وحاول القيام ولكنه كاد أن يقع ليجد يدًا تسنده وتساعده على الوقوف.. كأم تساعد وليدها على تعلم المشي.. ظن أنها ممرضة وسيسمع منها ما لذ وطاب ولكنه نظر لصاحبة اليد الحانية ليجدها فتاة لم تتعد العشرين عامًا.. عينان بنيتان.. قصيرة القامة.. ترتدي رداءً أزرق اللون مماثلًا للرداء الخاص بالمرضى.. تلاقت عيناهما لأكثر من دقيقتين، ساد

الصمت بينهما لا يسمع حتى صوت المرضى والآهات والممرضين.. سألته أين يريد أن يذهب.. فلم يجب ولكنه نظر للشرفة المطلة على النيل.. نظرت له في عتاب.. ثم قالت:

- بص بقى.. أنا سمعت الممرضة وهي بتقول لك مفيش حركة عشان الجرح.. انت عنيد ليه بقى... قمت وكنت هتقع.. ومع ذلك عايز برضه تمشي والجرح لسة ملمش.

نظر لها في استغراب بالغ ولكنه غير قادر على النطق فهي صادقة القول فيما قالت ولا يستطيع أن ينكر كل هذا.. ولكنه أجابها بهدوء يصحبه ألم سحيق بسبب الجرح:

- أنا عارف.. بس انا زهقت ورجلي كمان نملت.. غصب عني.. مش متعود على التكتيفة دي.. وبعدين انا سمعت الكلام وبقالي أكتر من ست ساعات متحركتش.

نظرت له بعين تملؤها الدموع.. نظرت له بحنو لم يره من أنثى من قبل.. وكأنها تلومه على كلامه، أما هو فلا يعلم مّم تعاني.. فهي أيضًا مريضة ولا يعلم مّم تشتكي.. ولكنها سرعان ما كفكفت دموعها وابتسمت له وهي تجلسه على السرير وتسند قدميه لتضعهما في مكانهما حتى يستريح ويهدأ جرحه:

- ست ساعات.. وجاي على نفسك كدا.. ماشي يا عم.. معلش بقى استحمل عشان الجرح يلم بسرعة وتقوم بالسلامة.. لصاحبك اللي كان هيتجنن عليك

اتجه بنظره أرضًا.. ثم تذكر أنها ترتدي نفس ردائه.. وأنها من سكان هذه المستشفى.. عاد بنظره لها.. ثم سألها:

- انتِ بقى بتعملي إيه هنا.. وكمان إيه اللي ملبسك البتاع الرخم دا؟

نظرة عينيها أخذته لعالم سحيق.. لم يرها سوى من والدته.. نظرة حنو.. نظرة بها وجع سنين وسنين لم يرها إلا في عيون والدته منذ وفاة والده.. نظرت له وكأنها تتأمله.. وهو يداعب أنفه ببلاهة قائلًا:

- جاوبيني بقى قبل ما الدكتور يخش يديني الحقنة

أردفت قائلة:

- أنا هقوم آخد الجرعة واجي لك بعد ما الدكتور يديك الحقنة

همت بالرحيل عن عالمه الصغير الذي لم يكمل العشر ساعات.. شعر بالهواء يغادر رئتيه.. ولكنه علم أنها كما أتت له من الفراغ حتمًا ستعود.. سألها عن اسمها فأجابت دون أن تلتفت له:

- ((مريم))

قالت:

- إيه دا؟

حاول حبس دموعه ثم قال:

- أنا فاكر كل حاجة كأنها امبارح وبكتبها عشان الناس كلها تقراها وتعيشها زي ما عشتها.. عايزهم يعرفوا الوجع اللي مريت بيه.

- بس انت بتكتب كل حاجة عننا من غير حتى ما تاخد إذني

قامت من أمامه وقالت قبل أن تغادر:

- مين قال لك اني موافقة؟

قال وهو يغلق المكان ويلحق بها:

- مش من حقك ترفضي.. دي حياتي وانا هكتبها عشان دي كانت رغبتها.. وعشان شايف أن الناس هتستفاد من اللي حصل معايا ومش هيقفوا عند اللي باعوهم كتير.

أنهى كلامه وتركها ورحل. تركها وهي تتألم لما سمعت، صرخت بأعلى صوتها:

- كان غصب عني.

سمعها ولم يلتفت وذهب في طريقه حتى لا يتأخر عليها، حتى لا تضطر إلى أن تنتظره في سريرهما، أخذ ابنته في طريقه وصعد السلالم مسرعًا متلهفًا للقائها، وضع الصغيرة في سريرها وذهب إلى ركنهما الذي استمرا يتحدثان فيه منذ أن افترقا، سألته وهي تخلع عنه ملابسه:

- اتأخرت ليه يا حبيبي؟

كان يريد أن يداري عنها الحقيقة ولكنه لن يستطيع، قال:

- مفيش، «مريم» جات لي الشغل النهار دا واتكلمت معايا شوية.

لم يظهر عليها أي ضيق مما سمعت، فقط قالت:

- كانت عايزة إيه؟

قال وهو يرتدي ملابس النوم:

- ولا حاجة كانت جاية تقول لي أن كل اللي حصل كان غصب عنها.

- ازاي يعني؟

قال وهو يجذبها من يدها لتجلس بجانبه:

- معرفش مشيت وسبتها.. أنا مش عايز اعرف حاجة وبعدين مكنتش عايز اتأخر عنك.. وحشتيني.

اختفت من أمامه فجأة، حاول أن يبحث عنها في كل أرجاء الغرفة ولكنها لم تكن موجودة من الأساس، ظن أنه أغضبها منه بذكره لحديثه مع «مريم»، جاءته رسالة من «مريم» فاتصل بها:

- عايزة إيه يا «مريم».. سيبيني في حالي بقى مش كفاية اللي عملتيه فيا.

قالت وهي تبكي:

- والله يا «مالك» كان غصب عني عايزاك تسمعني بس.

- احكي.

شعر بأنفاس تقترب من خلفه، نظر ليجدها مرة أخرى تضمه إليها، تضع رأسه على صدرها، تطيب خاطره، تحاول التخفيف عنه، قالت «مريم»:

- مش هينفع في التليفون.. هكلمك بكرة أقول لك نتقابل فين.

أغلق «مالك» الهاتف معها وظل مع «حور» كأنه يرجوها ألا تختفي مرة أخرى، أصبح لا يستطيع النوم إلا وهي بجانبه، تمرر أصابعها بين خصلات شعره. تحكي له عما كانت تشعر بدونه، تصف له حبها واحتياجها له الذي يشعر بمثله الآن بعد أن غابت عنه للأبد وأصبح كل ما يربطه بها هي ابنته وخيالاته التي لا يعلم أحد في الدنيا غيره عنها شيئًا، نائمًا على ظهره ينظر إليها وهي تتحدث إليه، قال:

- بحبك.. متسيبينيش.

قالت:

- عمري ما سيبتك وعمري ما هسيبك.. انت الحاجة الوحيدة اللي عايشة عشانها.

قبلته في جبينه وظلت بجانبه إلى أن ذهب في سبات عميق.

-١١-

تجلس في نفس المكان الذي جمعهما آخر مرة تقابلا، تنتظره، تريد أن تشرح له مبررها، تعرف أنه لن يصدقها ولكنها تريد أن تلقي ما بداخلها أمامه لتترك له الحكم، كان من الممكن أن تعيش حياتها بذنبه طالما يوجد بجانبه من يهوّن عليه ويسعده ولكن بعد معرفتها بما حدث تريد أن تكون بجانبه.

دخل عليها المكان، يبدو باهتًا غير مهتمٍ بأي شيء، جلس ويبدو عليه الإرهاق، كانت عينه حمراء من قلة النوم. سألته:

- ما لك؟

- كويس.. خير عايزة تقولي إيه؟

سألته:

- مش هتسألني ليه اخترت المكان دا بالذات؟

قال:

- لأ

يحاول أن يبدو عليه عدم الاهتمام. لا تريد أن تثير غضبه، يبدو عليه الضغط والتعب، قالت:

- أنا اخترت المكان دا عشان هنا اتعودنا دايمًا نتقابل.

فقال:

- وهنا كانت آخر مرة اتقابلنا يوم ما عرفت انك خنتيني.

بكت، نزلت دموعها بكثرة، حاولت أن تهدئ من نفسها ثم قالت:

- والله مخنتكش يا «مالك» كان غصب عني.

- غصب عنك ازاي يعني؟

قالت وهي تحاول مسح دموعها:

- غصب عني لأني كنت عايزة ابقى أم.. غصب عني لأني زي أي بنت أهم شيء في حياتها إحساس الأمومة.. مكنتش هقدر اشوف أن فيه أمل ينفع اتعلق بيه واسيبه.

لم يرد عليها فقالت:

- عارفة اني غلطت في حقك، عارفة اني وجعتك بس غصب عني والله.. ودلوقتي....

لم يعطها الفرصة لتكمل كلامها، قاطعها:

- ودلوقتي إيه.. راجعة دلوقتي عايزة إيه؟

- عايزة ابقى جمبك.. أشيل عنك.

زفر بضيق، أخذ وضعية الهجوم في جلسته ثم بدأ يتكلم بصوتٍ عالٍ حتى لاحظ الجميع ما يحدث بينهما. قال:

- انتِ عمرك ما كنتِ هتفتكريني غير بعد ما جوزك طلقك.. عمرك ما كنتِ هتفتكريني غير بعد ما الأمل اللي عشتِ عليه راح.. يبقى وجودك زي عدمه مالوش لازمة.. كمان انتِ دلوقتي حد مختلف تمامًا عن البنت اللي حبيتها.

ابتلع ريقه ثم تابع:

- حتى لو كنتِ نفس الشخص فكفاية اللي عملتيه فيا.

كانت دموعها كفيلة بوصف حالتها، لم يعبأ بحالتها وأكمل بسبب تدهور حالته وعصبيته، تابع:

- اللي بينا دا كان حب.. وحب حقيقي كمان ولو مكانش كدا بالنسبالك فكان كدا بالنسبالي.. وكل الناس اللي عرفت عنه صدقته وحسوا قد إيه انا بحبك.. وانتِ بمنتهى الأنانية نهيتي كل دا.

نظر حوله لما علا صوته ليلاحظ أن الجميع يراقبهما فحاول أن يخفض صوته فتكلم بصوت مبحوح:

- حقك تخرجي من علاقة شايفة أنها مش هتفيدك ومش هتسعدك بس اللي مش من حقك إنك تقرطسيني.. وإنك تخونيني وتروحي ترتبطي بحد تاني وانا لسة موجود في حياتك وطالع عين أهلي عشان بس اسعدك.

حاولت أن تتكلم فقاطعها:

- لو سمحتِ سيبيني أكمل كلامي.

هزت رأسها موافقة فتابع:

- عارفة انا في كل الحالات كنت هتوجع منك بس الفرق الوحيد إني كنت هحترمك لما تيجي تقولي لي إنك هتسيبيني عشان مش هقدر اسفرك بره تتعالجي رغم إنك لو كنتِ عرفتيني كان ممكن أبيع نفسي في مقابل أني أحقق لك اللي نفسك فيه.. بس

انتِ محاولتيش أصلًا اخترتِ الطريق السهل.. وطلع الطريق السهل هو أسوأ طريق ممكن حد يختاره واظن شُفتِ إيه اللي حصل لك.. أنا مش موافق على اللي حصل لك بس يا ترى بقى مين يوافق على اللي حصل لي؟

كانت «مريم» في حالة انهيار تام أمامه ولكنه غير مبالٍ لها ويكمل كلامه:

- بس مفكرتيش انا هيجرالي إيه وحياتي هتبقى عاملة ازاي.. طب كنتِ عرفيني.. كنتِ قولي لي آسفة مش قادرة أكمل زي أي اتنين ناضجين إنما أشوفك بنفسي معاه في العربية.. ساعتها حسيت أن حد غرز سكينة في قلبي.. نهيتي العلاقة دي واحنا كنا طرفين فيها لوحدك وبنفسك يبقى «مالك» يش حق ترجعي تاني مهما كان اللي بمر بيه.

أخذ نفسًا عميقًا ثم تابع:

- أصل انا حياتي مكانش فيها غيرك.. مكنتش شايف غيرك.. ومكنتش متخيل ولا متوقع إنك تعملي فيا كدا وعشان كدا كانت أكبر صدمة في حياتي لأني متوقعتهاش ولأنك أكتر حد حبيته.

حاولت لمس يده فسحب يده من أمامها ثم تابع:

- عارفة.. أنا بلعن نفسي كل يوم لأني مقدرتش اوصل بمشاعري مع «حور» لنفس مستوى مشاعري معاكِ.. آه حبيتها.. آه اديتها كل حاجة كانت فاضلة فيا في التلات سنين اللي عاشتها معايا بس كان نفسي اوصل معاها لنفس إحساسي معاكِ لأنها ادتني اللي خدتيه انتِ مني وسبتيني مطفي وهي نورتني من أول وجديد.

نظر لها في عينها مباشرةً وكأنه تذكر شيئًا مهمًا، سألها:

- زعلانة منه ليه عشان سابك.. مانتِ سبتيني لنفس السبب اللي هو سابك عشانه.. هو عمل فيكِ كدا لأن ربنا مبيرضاش بالظلم وشربتِ من نفس الكاس اللي شربتهولي.. اتجوزتيه لسبب والسبب دا راح فسابك.

أخذ نفسه ثم تابع بهدوء:

- منكرش اني اتأثرت باللي حكيتهولي وللحظة وانا عندك في البيت كنتِ بدأتِ تصعبي عليّ، بس عارفة يا «مريم».. لو كنتِ فضلتِ انتِ تكملي جنبي مكنتش هعمل ربع اللي عمله فيكِ «تامر». الفرق اللي بيني وبينه إني انا حبيتك بجد

وحتى بعد ما سيبتيني كنت بتمنالك الخير ومحاولتش اني اسبب لك أي أذى في حياتك، لكن هو قرر يدمرك قبل ما يسيبك و ياخد حقه منك.

أوجعتها كلماته بشدة وزادت دموعها وانهيارها وهو يكمل كلامه بلهجة مترجية:

- سيبيني في حالي ومتحاوليش تظهري في حياتي تاني يا «مريم».. مبقاش عندي حاجة اديهالك حتى لو كان لسة في قلبي حب ليكِ، اللي فاضل مني هعيشه لمراتي وبنتي.

لم تتحمل جرح كرامتها أكثر من ذلك فقامت من كرسيها وهي تغادر وما زالت دموعها تملأ عينيها قائلة:

- مراتك ماتت يا «مالك».. ماتت ومش هتقدر تكون معاك تاني، أنا آسفة ومش هتشوف وِشي تاني.

قالت كلماتها وغادرت المكان.

تركته وسط دهشته وكأنه يسمع خبر وفاة «حور» للمرة الأولى.

تمتم بكلمات شاردة كأنه يحدث العدم وقد شارفت دموعه على مفارقة عينيه:

- بس انا أقدر اكون معاها دايمًا.. هعيش حياتي اديهم اللي فاضل مني.

ترك ابنته تبيت مع «هاجر» ثم رحل إلى منزله، جهز كل شيء ليتمم ما أرادت، قرر ألا يخرج من هذه الغرفة إلا وقد كتب كل ما حدث كما تمنت دومًا، جلس أرضًا ووضع اللابتوب أمامه، أنار ضوءًا صغيرًا بالكاد يريه الحروف على لوحة المفاتيح ثم بدأ يكتب، بدأ يسطر الكلمات بالترتيب الزمني، بدأ يحكي كل ما حدث له من البداية، كانت أهم بداية في حياته، عندما رآها لأول مرة، نظر إلى سقف الغرفة ليظهر أمامه مشهد تجلس فيه فتاة جميلة وبريئة أمام شاب يبدو عليه الحزن، كانت هذه هي بداية حياته الجديدة، كانت هذه ترتيبات القدر ليضعها الله في طريقه لتنير حياته، استمر بالكتابة ليشعر بيد توضع على كتفه فينظر جانبه ليراها تجلس بالقرب منه، اقتربت منه أكثر إلى أن وضعت رأسها على كتفه من الخلف، قالت:

- كمل يا حبيبي.. كمل كتابة وانا جنبك.

سألها:

- كنتِ حاسة بإيه ساعتها؟

أطلقت ضحكة خفيفة ولم ترد، كرر سؤاله فقالت:

- بصراحة كان شكلك مضحك أوي لأنك حد كبير في السن بياكل غزل بنات اللي هو غالبًا بتاع الأطفال والبنات.

غادرت أصابعه لوحة المفاتيح، اعتدل ليصبح أمامها مباشرةً، قال:

- وحشتيني أوي.

تبخرت من أمامه فجأة، انزعج من اختفائها. سألها:

- رحتِ فين؟ سبتيني ورحتِ فين؟

لم يرد عليه الفراغ مطلقًا، عاد مرة أخرى إلى الكتابة، عاد مرة أخرى يخرج ما بداخله وهذه المرة من أجلها، كتب:

أصبحت حياتي الآن فارغة، لا يوجد بها ما يثمر أو يفيد، حياة مملة يشوبها بعض السعادة برؤيتي لضحكات ابنتي الصغيرة، تلك التي أتت للحياة لتعيش وحيدة لأني مهما حييت ميت منذ وفاة والدتها، تلك السيدة التي أحبتني رغم كل عيوبي، التي قررت أن تهبني أسعد سنوات في عمري وكانت تلك الأخيرة لها، «حور»، أين أنتِ، لماذا كل هذا الغياب، لن يستطيع قلبي تحمل المزيد، لن أتحمل أن يضيع عمري بلا فائدة، دون الاستمتاع بقربك.

فجأة سمع صوتها تقول:

- مش جعان يا حبيبي.. انت من الصبح مكلتش خالص.

وضع يده على بطنه من شدة الجوع، قال:

- آه والله جعان جدًا.. يلا نقوم نعمل حاجة نا كلها.

تحرك إلى أن وصل إلى باب المطبخ فلم يستطع الدخول، كانت بالداخل فجلس يراقب نفسه برفقتها، دخل وراءها المطبخ ووقف بجانبها يتناولان الطعام معًا، تارةً ينظر إليها بعين مندهشة وتارةً عين تملؤها الرغبة بسبب افتقاده لها، بدأت ضحكاتهما تعلو وهو يأخذ الطعام من يدها قبل أن تضعه في فمها، كانت فاتنة، تمتلك كل شيء لتسعده وتجعله أسعد رجل في الدنيا.

انتهيا من تناول الطعام، فاتجهت إلى الحوض لتغسل يدها، تحرك إليها، حتى أصبح وراءها مباشرةً، اقترَب أكثر، لتصل يده بجانب يدها للمياه، فغسل يده بالماء المتساقط من يدها، وهما يتضاحكان، وبيدها وضع الصابون على شفتيه ليزيل أثر الطعام، انتهى من غسل يده واقترب منها ليضمها أكثر ويقبّلها في كل مكان، فجأة أفاق ليجد نفسه وحيدًا في المطبخ، أعد شطيرة ثم عاد مرة أخرى ليتابع الكتابة، ظل منكبًا على الجهاز ليكتب كل ما يشعر به تجاهها،

ليسجل كل ما مر به معها ليكون دليلًا على وجودها ذات يوم في حياته، استمر الليل بأكمله يكتب ويقرأ ما يكتبه غير مصدقٍ أنه عاش تلك المشاعر والأحاسيس معها.

لم يشعر بنفسه إلا وهو بين شعاع النهار، نظر أمامه ليجد أنه كتب كثيرًا، لا يدري هل الذي كتبه هي الحقيقة أم الذي تمناه ولكنه كتب كثيرًا، أغلق الجهاز، أغلق هاتفه ثم دخل سريره ليجدها في انتظاره، ضمها إليه ووضع رأسه على صدرها وقرر أن يسافر معها إلى اللامكان، لا يهم أي شيء الآن، المهم أنه سيكون برفقتها وبين ذراعيها، ترك رأسه وأحلامه وكل شيء يمتلكه بين ذراعيها وراح في سبات عميق.

-١٢-

مرت الأيام والشهور على الجميع بشكل طبيعي يشوبها بعض الذكريات الأليمة على فراق من أحبوا، كانت «مريم» تحاول باستمرار أن تكون بجانب «مالك» لتعوّضه فقدان «حور»، تحاول أن تعتذر له عما فعلت فيه وما تسبّبت له من جراح طوال الفترة الماضية، حاولت كثيرًا أن تتكلم مع «هاجر» وبالفعل استطاعت لقاءها ومحاولة إقناعها أنها فعلت كل هذا دون إرادتها لأن السبب الرئيسي تعلمه «هاجر» جيدًا، وهو أنها تريد أن تصبح أمًا بسبب الغريزة التي أوجدها الله فيها، تعاطفت «هاجر» معها كثيرًا خاصة بعدما علمت ما مرت به في زواجها وقررت «هاجر» أن تكون صديقة لها دون علم «مالك» حتى لا يغضب ولكنها كانت تبلغ «مصطفى» بكل شيء، بالفعل تكررت زيارتهما لبعضهما البعض، حكت «مريم» لـ«هاجر» كل ما دار بينها وبين «مالك»، أخبرتها بأنها أسست حضانة كي تعوض إحساس الأمومة الذي افتقدته

للأبد، عرضت عليها أن تأتي بسيف للحضانة خاصة أنه تجاوز السنتين بكثير وللآن لم يلتحق بأي حضانة، وافقت «هاجر» بعد أن استأذنت «مصطفى» الذي لم يتغير رأيه قط في أن «مالك» ما زال يحب «مريم» حتى الآن وبعد كل ما حدث، بل الأكثر من ذلك كان يرى أن «مالك» و«مريم» في أشد الحاجة لبعضهما البعض الآن ليتجاوزا ما مرا به، بل إنه يرى أن «حور» الصغيرة أيضًا بحاجة لأم تعرف معنى الأمومة التي حرمت منها مثل «مريم» ولكنه لم يكن يعلم كيف يوفق بينهما وهو يعلم كم عناد صديقه وأن وفاءه لـ«حور» ليس منبعه الحب فقط ولكنه أيضًا نتيجة لتقصيره معها بل وإغضابها كثيرًا في حياتها.

تابع «مالك» كل شيء يدور حوله باهتمام، ابنته التي تكبر يومًا بعد يوم، حياته التي تسير بشكل طبيعي في عمله وتسير بشكل ممتع مع الصغيرة التي تتحول ملامحها إلى والدتها كل يوم، استمر «مالك» في كتابة روايته، حكايته مع «حور». كان يريد أن يقرأ عنها الجميع ويعرف الجميع مدى حبها له، كان يريد أن يرسل رسالة إلى كل من يقرأ هذه الرواية، كان يكتب حروفها لكل من يعيش في ذكرياته ولا يريد أن يتخطاها، كان ينصحهم بكل حرف يكتبه، كان يخبرهم ألا يضيعوا فرصتهم في الحياة مع من يحبهم بصدق.

مرت أيام وشهور والجميع غارق في حياته، نسي الجميع معاناة من أحبوا، لن يشعر بك إلا من ذاق نفس المرارة، إلا من مر بنفس التجربة بنفس التفاصيل، انشغلت «هاجر» و«مصطفى» بتعب حملها الثاني وترتيبات الولادة، وتكررت زيارة «مريم» لها حتى أصحبت يومية، خاصة بعد حمل «هاجر» التي أصبحت لا تقوى على مراعاة «حور» الصغيرة، وفي نفس الوقت توصل سيف الصغير للحضانة يوميًا ثم تذهب لإحضاره، ولم تستطع بالطبع مجرد التلميح لـ«مالك» بشيء كهذا، فعرضت عليها «مريم» أن تمر هي عليها قبل أن تذهب للحضانة، تأخذ سيف وبعد انتهاء اليوم تعيده، كانت أيضًا سعيدة برؤية «حور» الصغيرة كل يوم حيث إن «مالك» كان يحضرها صباحًا قبل موعد حضور «مريم» ويأتي بعد انتهاء يومه يأخذها ويعودان إلى منزلهما -وبالطبع لم يكن يعلم شيئًا عن حضور «مريم»- مما زاد تعلق الطفلة بها إلى أن جاء يوم تعبت فيه «هاجر» كثيرًا ولم تعرف ماذا تفعل وهي وحدها ومعها الصغيرة؛ فاتصلت بـ«مصطفى» الذي عاد فورًا من عمله ومر على «مريم» في الحضانة لإحضار سيف، وعندما علمت «مريم» بتعب «هاجر» أصرت أن تعود معه للمنزل لتجلس بالصغيرين إلى أن يعودا من عند الدكتورة، إلا أن حالة «هاجر» كانت غير مستقرة وفضلت الطبيبة أن تحتجزها وتعلق لها بعض المحاليل وتُجري بعض

الفحوصات، وبقي «مصطفى» بجانبها، وطمأنتهما «مريم» تليفونيًا أنها ستبقى في المنزل بالطفلين إلى أن يعودا.

شعرت «مريم» بأنها في منزلها فأبدلت ملابسها بملابس منزلية من دولاب «هاجر» ونيمت الطفلين اللذين أصبحا مرتبطين بها جدًا، ورتبت الشقة التي شابتها بعض الفوضى نظرًا لتعب «هاجر» وعدم قدرتها على خدمة البيت، وجهزت أكلًا حتى إن عادا يجدان شيئًا يأكلانه،

ولكن «مريم» كانت ترمي إلى شيء آخر، كانت تعلم موعد عودة «مالك» من عمله ليأخذ طفلته وكانت ترتب كل شيء في انتظاره.. لم تكن تتوقع ردة فعله ولكن ربما يحن قلبه إذا علم ما تفعله مع أخته وابنها ومع «حور» الصغيرة.

جهزت كل شيء وحضرت مائدة الطعام وارتدت ملابسها ثانية بعد أن أخذت حمامًا ساخنًا.

وقرب عودة «مالك» كانت جاهزة لاستقباله.

اتصلت «هاجر» بأخيها تطلب منه الحضور:

- فينك يا عم بقالك كام يوم محدش شافك؟

ضحك «مالك» ثم قال:

- يعني يا حبيبتي بطنك بقت شبه البطيخة وقلت بقى ارحمك من «حور» شوية.

قالت:

- لا يا عم «مالك»ش دعوة.. عدي علينا النهار دا اتغدى معانا.

- ماشي يا حبيبتي.. هخلص واعدي عليكوا.

أنهى «مالك» ما في يده، وتحرك بصحبة ابنته إلى منزل صديقه، صعد السلالم منهلًا إلى أن وصل لشقتها، ضرب الجرس ليجد شقيقته تفتح الباب وتدعوه للدخول، دلف إلى داخل المنزل ولم يجد صديقه فسألها:

- أومال «مصطفى» فين؟

قالت:

- لسة مجاش.. كنت عايزة اتكلم معاك شوية قبل ما ييجي.

استغرب تصرفها ولكن لم يعقب، قالت:

- «مريم» يا «مالك».

- ما لها «مريم» يا «هاجر»؟

نظرت له بدهشة ثم قالت:

- انت هتستعبط.. البنت مستحملة كمية اضطهاد رهيبة.. انت بتعاملها ليه كدا؟

لم يصدق ما تقوله، قال:

- مش «مريم» دي يا بنتي اللي كنتِ بتحذريني منها من فترة؟!

- عارفة يا حبيبي.. بس البنت حقيقي تعبانة وندمانة على كل اللي حصل، خصوصًا بعد اللي حصل لها.

- «هاجر».. أرجوكِ.. مش كفاية إنك طلعتِ بتكلميها وبتزورك كل الوقت دا ومن غير ما تقولي لي، آجي في يوم آخد «حور» ألاقيها هي اللي قاعدة بيها.

- البنت بقت لوحدها وملهاش حد ومصدقت لقت حد تتكلم معاه، وبعدين دا بدل ما تشكرها، دا انت حتى لما جيت ولقتها في البيت عندنا مكلفتش خاطرك تشكرها بكلمة،

سألت عليّ ولما عرفت انبا مش موجودين اخدت بنتك ومشيت من غير ما تقول لها ولا كلمة زي ما يكون جيت لقيت دادة في البيت، دي حتى لو الدادة كنت هتشكرها.

نظر لها بضيق ولم يعلق فأكملت هي بابتسامة:

- وعلى فكرة بنتك متعلقة بيها جدًا.

ألقى «مالك» نظرة على ابنته وهي تلعب على الأرض وقال معاتبًا:

- طب و«حور» يا «مريم».. هانت عليكِ يعني؟

- يا «مالك» «حور» نفسها لو تقدر ترجع من الموت هتقوللك متعملش في نفسك كدا.. وكمان بنتك محتاجة حد يرعاها ويا خد باله منها.

قام من مكانه وتحرك ناحية الشرفة فتبعته «هاجر» تاركين الصغيرة تلعب أرضًا بعروستها. قالت:

- يا حبيبي انا عارفة حجم الوجع اللي عشته في حياتك بس يا عم تعالى نعتبرها جوازة مصلحة.. هي هتتجوزك عشان تبقى أم لـ«حور» وانت هتتجوزها عشان تهتم بيك وتربي لك بنتك كويس.

ضحك «مالك» على كلام شقيقته وقال:

- دا مش كلامك دا.. غالبًا الكلام دا كلام «مريم».. هي لمحت لدا قبل كدا وانا صديتها.

قالت وهي تتحرك عائدة إلى الداخل:

- فكر يا «مالك».. فكر بس يا حبيبي في مصلحة بنتك على الأقل.

سمع «مالك» صوت الجرس فتحرك ليفتح لصديقه، دلف «مصطفى» للداخل بينما «هاجر» تعد الطعام في المطبخ، فجأة سمعا صراخها فهرولا إليها ليجداها على الأرض تصرخ فيهما:

- اِلحقوني بولد.

تحرك «مصطفى» ناحيتها بينما «مالك» اتصل بالإسعاف لتأتي وتأخذها إلى المستشفى، كان الجميع بجانبها، كان الجميع يرافقها إلى المستشفى، وصلت إلى المستشفى في الموعد فأخذتها الطبيبة منهم إلى غرفة العمليات لتضع مولودها الثاني، انتظر الجميع في الخارج قلقين عليها، يدعون الله ألا تتكرر مأساة «حور»، يحمل «مالك» ابنته ويتحرك في جميع الأرجاء يدعو الله لشقيقته أن تعود لهم سالمة، فجأة وجد «مريم» تدخل عليهم المكان، تحركت ناحيته

وحملت عنه ابنته، لم يستطع أن يصدها هذه المرة، ترك لها «حور» وأخذ مصحفًا وبدأ يقرأ لشقيقته القرآن.

مر الوقت بطيئًا على الجميع، كان قلق «مصطفى» و«مالك» على «هاجر» واضحًا بينما «مريم» استغلت هذا الوقت في التقرب من «مالك» ومتابعته جيدًا والنظر له والتشبع منه قبل أن يفيق ويصدمها مرة أخرى ويطلب منها الرحيل.

خرجت الطبيبة بوجه بشوش مبتسمة تبارك لهم المولود الجديد وتطمئنهم على حالة «هاجر»، اطمأن الجميع على «هاجر» وابنها، هدأ روعهم وذهب قلقهم إلى بعيد، شكر «مالك» «مريم» على وجودها وأخذ منها «حور» ليدخل إلى شقيقته ويطمئن عليها.

عمت الفرحة المكان، كان الجميع سعيدًا بسلامة «هاجر» وقدوم وليدها، كان الجميع معها في غرفتها وهي تضم ابنها إليها و«مصطفى» يضمهما معًا ويقبّلهما بعد أن لمعت عيناه بدموع الفرحة، بارك الجميع لها ورحلوا تاركين «مصطفى» مع ابنه وزوجته، غادر «مالك» المكان ولحقته «مريم» لتبارك له فشكرها وتحرك ليذهب إلى منزله فقالت:

- مش هتوصلني يعني؟

نظر لها وهو يشير بيده إلى السيارة القادمة ناحيته:-

- انتِ جاية لوحدك فمفيش مشكلة انك تروحي لوحدك.

- عشان خاطري بلاش كدا يا «مالك».. طول الوقت معاملة وحشة وانا مش هقدر استحمل.

وصلت السيارة ووقفت أمامهما، فتح بابها ليركب وهو يقول:

- محدش طلب منك تستحملي.

أغلق الباب وراءه وتحركت السيارة إلى منزل «مالك» لينام قليلًا ثم يعود إلى شقيقته مرة أخرى تاركًا وراءه «مريم» التي صعقت لما يفعله «مالك» معها دومًا منذ أن قررت العودة لتكون بجانبه مرة أخرى.

-بعد مرور سبعة أيام.

تجمع جميع الأقارب والأحباء لحضور سبوع علي ابن «مصطفى»، التف الجميع حول الصغير يغنون له فرحين بقدومه إليهم، كانت الفرحة واضحة على محيا الجميع، أخذت السيدات يفعلن الطقوس التي تعودن عليها دائمًا في هذه المناسبات، دقوا الهون وبدأوا

يلقنون الصغير كل ما أرادوا وهن يضحكن في سعادة واضحة، كانت «مريم» بين الجميع فشعر «مصطفى» بضيق «مالك» الواضح على وجهه منذ أن حضرت، أخذ صديقه إلى الشرفة وطلب منه أن يعاملها بلطف على الأقل في هذا اليوم حتى لا يفسده على نفسه وعلى الجميع، وقفت بجانبه تبارك له مرة أخرى على مولود شقيقته فشكرها وابتسم في وجهها على غير العادة، انتهى اليوم والجميع فرحين بكل ما لديهم، «هاجر» و«مصطفى» فرحين بابنهما الجديد علي، و«مالك» سعيد بابنته التي تكبر يومًا بعد يوم و«مريم» فرحة لأنها مع «مالك» في مكان واحد، فكر «مالك» قليلًا في أمرها، ثم صرفها عن عقله مرة أخرى بتذكره لـ«حور» تلك الفتاة التي أذابت جبل الجليد الذي كونته «مريم» على قلبه بفعلتها، هو بالفعل نسى الماضي وسامحها لكن مجرد التفكير فيه أو القرب منها يشعره بأنه يخون «حور»، الوحيدةِ التي تستحق كل شيء وتستحق الحياة لها إلى موعد الموت.

ظلت «مريم» تفكر كثيرًا كيف تستطيع التغلب على هذا الوجع الذي سببته لـ«مالك» وهذا الشعور الموحش بسبب عجزها عن أن تكون أمًا، هاتفته وطلبت منه أن تلتقي به في الخارج لأنها تريد أن تتكلم معه في موضوع هام، لاحظ إصرارها في وجودها بجانبه دائمًا، لا يدري لأنها نادمة على ما فعلت أم لا تزال تحبه بعد

أن رأت عواقب فعلتها فيه وفيها، كانت قد وصلت لفكرة وأرادت أن تستشير فيها شخصًا قريبًا منها تثق في رأيه، أخذ «**مالك**» مفاتيح سيارة «مصطفى» ليتحرك بها كما يريد، قبل أن يتكلم طلبت منه أن يعطيها «حور» لتحملها عنه ويتحرك بهما فورًا إلى مكانها، ركبا السيارة برفقة الصغيرة وتحرك «مالك» بهما إلى مكان لقائه بـ«**مريم**».

جلست أمامه مباشرة حاملة الصغيرة وتلاعبها، لاحظ انسجام «حور» مع «مريم» فاندهش، لكنه طرد كلام شقيقته من رأسه ثم سألها ماذا تريد أن تأكل فقالت:

- عايزة أيس كريم بس.

طلب لها ما أرادت وطلب له مثلها، قال:

- خير يا ستي عايزة إيه؟

نظرت في عينه مباشرة وقالت:

- عايزة حاجتين يا «**مالك**».

أومأ برأسه لتتابع:

- عايزاك.. وعايزة ابقى أم.

قال وهو يحاول تجنب النظر إليها:

- وانت مش شايفة ان خلاص الحاجتين دول بقوا مستحيل.

قطع حديثهما النادل وهو يضع الـأيس كريم، ثم قالت:

- لو انت شايف اننا نكون سوا مستحيل فانا شايفة اني ممكن اكون أم عادي بس انت لازم تسمح بدا.

اتسعت عيناه دليلًا على عدم الفهم فتابعت:

- أنا بقالي سنة دلوقتي فاتحة حضانة.. والموضوع دا متعرفش فرق معايا ازاي وغيرني قد إيه، وأكيد طبعًا عارف ان سيف عندي في الحضانة ومبسوط جدًا كمان.

- آه عارف، فكرة كويسة جدًا.. واهو يعتبر تعويض عن موضوع الخلفة دا.

حاولت أن تبتسم لتداري وجعها فقالت:

- أنا عايزاك تديني «حور» اهتم بيها واراعيها واخد بالي منها طول مانت في شغلك وكأنك هتوديها حضانة غريبة.

تناول قطعة من الـأيس كريم ثم قال:

- بس «هاجر» متأخرتش عنها أبدًا.

قاطعته «مريم» قائلة:

- وعمرها ما هتتأخر يا «مالك».. دي كانت بتبعت سيف معايا الحضانة وهي تقعد بـ«حور» بس دلوقتي الموضوع بقى أصعب خصوصًا بعد ما ربنا رزقها كمان بـعلي، بسبب انهم صغيرين جدًا وهيكون الوضع متعب جدًا بالنسبالها.

هز رأسه متفهمًا دون أن يعقب، فقالت:

- دا غير إني انا اللي عاوزة دا يا «مالك» ومحتاجاه.. إذا كان مفيش أمل إني أكون مراتك فسيبني على الأقل أكون أم بديلة لبنتك، وانا اوعدك إني هفضل طول عمري جنبكم آخد بالي منها، لحد ما اوصلها لبيت جوزها، أرجوك يا «مالك» متحرمنيش من دا.. أرجوك.

كانت صادقة جدًا، كل ما كانت تريده أن تكون معهما وبرفقتهما دومًا. تريد أن تبني معه ذكريات جديدة، وافق «مالك» على طلبها بشكل مبدأي، عندما فكر في شقيقته وطفليها، وافق لما رآه من احتياج في جميع حروفها وهي تتحدث معه في هذا الموضوع، وافق عندما فكر في كلام شقيقته بشأن «مريم» فقرر أن يعطيها ما تريد دون أن يخون «حور» أو يكون مع أنثى أخرى غيرها.

انتهيا من الحديث فأخذ «مالك» ابنته وغادر المكان متجهًا إلى منزله لينهي روايته الآن، الآن استطاع أن يكتب جميع فصولها، الآن استطاع أن ينهيها كما أراد، كتب فيها كل شيء وبقي فيها المشهد الأخير. كان قد أرسل مسودتها لأحد الناشرين الذي تحمس لها فور معرفته بأنها تجربة شخصية ورواية واقعية، كان يشجعه على إنهائها ووعده أنها ستصل للجميع ليروا معاناته وصبر «حور» وحبها له.

وصل إلى المنزل، صعد مسرعًا وأحضر اللابتوب ونزل به مرة أخرى إلى الحديقة التي طالما جلس فيها برفقة زوجته، وضع ابنته أرضًا اللاب على ملف الرواية الذي أطلق عليه «مالك» و«حور» ثم بدأ يكتب.

* * *

وصل مبكرًا، دخل المكان بهدوء، كان الصمت يسود المكان، نادى على الحارس وصافحه، طلب منه أن يفتح له الحوش الخاص به، تخطى البوابة الحديدية حاملًا ابنته على كتفه وفي اليد الأخرى حقيبة بها علبة صغيرة.

وضع باقة الورد أمام القبر، أخرج من حقيبته ملاءة صغيرة وفرشها على الأرض، وضع ابنته أرضًا ثم وضع حقيبته وعلبة صغيرة

مغلفة بعناية فائقة ثم جلس بجانب صغيرته، كان أمام قبر زوجته، أحضر ابنته وقطع الجاتوه والورد ليحتفل معها بعيد ميلاد ابنته الأول.

كانت الصغيرة تتحرك حوله، تلعب في المكان بعروستها وألعابها التي أحضرها والدها معه ليقضي اليوم برفقة زوجته، ترك قبلة على جبين ابنته ثم فتح العلبة بعناية ثم وضع بها شمعة واحدة وأجلس ابنته جانبه ليحتفل معهما بعيد ميلادها، قبل أن يشعل الشمعة بدأ يتكلم معها، قال لها:

- «حور» كملت سنة يا حبيبتي..

- بنتنا بتكبر كل يوم يا «حور».. ويوم بعد يوم بتشبه لك.

انتظر أن ترد عليه ولكن دون رد، حتي إنها لم تظهر له كعادتها، جلس على ركبتيه ومال برأسه على القبر ليناجيها، ليبكيها ويخبرها أنه تائه بدونها في هذه الحياة، أراد أن تخرج من مكانها وتضمه وتهوّن عليه ما يشعر، أراد أن تأخذه بجانبها.

مسح دموعه ثم أشعل الشمعة وأجلس ابنته بجانبه وبدأ يغني لها، سنة حلوة يا جميل كانت تخرج منه الكلمات بصوت مبحوح

والدموع تنهمر من عينه معها، كان يقبّل يديها وقدميها، كان يضم الصغيرة إلى صدره محتفلًا بوجودها في حياته، شكر زوجته على الحياة التي وهبتها له أثناء وجودها وبعد رحيلها، ففي حياتها أعطته السعادة وبعد وفاتها وهبته الصغيرة التي أنارت حياته بعد ظلامها.

أنهى احتفاله مع «حور» يتيه ثم ترك قطعة من الشيكولاتة على قبرها بجانب الورد، لملم أشياءه وتحرك للخارج تاركًا علبة الجاتوه لحارس المقابر، كانت صغيرته تمشي بجانبه بخطوات صغيرة وممسكة بيد والدها، حملها، قبّلها وضمها إليه مرة أخيرة قبل أن يركب سيارته ويغادر المكان.

فوجئ وهو يغادر المكان بـ«مريم» تنتظره خارجًا، كانت هناك دمعة تنحدر من عينيها ولكنها ابتسمت، حملت الصغيرة التي ما إن رأتها حتى جرت عليها بخطواتها المتلعثمة ففردت ذراعيها لها، لم ينطق «مالك» أيضًا وسار تجاه سيارته يفتح الباب لـ«مريم» التي شعرت بما يمر به فتمسكت ببقائه أكثر، وقالت:

- يلا علشان تلحق تحضر معانا عيد الميلاد اللي عاملينه لـ«حور» في الحضانة.

أصبحت «مريم» لها في فترة قليلة بمثابة أمها التي فقدتها قبل أن تراها. أصبحت «حور» هي كل شيء لـ«مريم»، لدرجة أنها لا تفارقها إلا في الليل عند نومها، أحيانًا يتركها «مالك» لـ«مريم» لتبيت معها. اقتربت «مريم» منهما بشكل ملحوظ ولكن دون أن يتحرك تجاهه «مالك» خطوة واحدة.

- المشهد الأخير -

كانت «حور» تستمع لحديث والدها وهي تربط بين كلامه وما عاشته برفقته وبرفقة «مريم» قالت:

- يعني ماما «مريم» دي هي أول حب في حياتك؟

قال «مالك» وهو يحاول النهوض من مكانه بمساعدة ابنته:

- آه.. وكانت طول العمر دا بتحاول تكفر عن ذنبها وغلطها في حقي في اهتمامها بيكِ وتربيتها ليكِ.

قالت:

- وماما؟

- أمك يا حبيبتي فضلت عايشة معايا وهتفضل معايا لغاية ما اموت.

قبلت يد والدها وقالت:

- بعد الشر عنك يا بابا.

سكت والدها وهو يتحرك بجانبها ناحية باب الغرفة مغادرًا بمساعدتها إلى غرفته التي حجزها له سيف في الفندق ليجدها تنتظره، طلب من ابنته أن تذهب لتبدأ تجهيزات فرحها، أغلقت الباب خلفها ورحلت فوقف «مالك» أمامها مباشرة، ما زالت شابة جميلة رقيقة لم يصبها العجز مثله، قال وهو يتكئ على عصاه:

- وحشتيني..

لم ترد، قررت فقط الظهور له وعدم الحديث إليه في يوم كهذا، بدا وجهها مشرقًا فرحًا بزواج ابنتها، اقتربت منه أكثر ليضمها و يترك رأسه على صدرها. فجأة انتبه من وقوفه معها على عدم وجودها، على طرقات الباب. تحرك «مالك» ناحية الباب ليجد «مريم» في انتظاره، فتح الباب ثم قال:

- يا بنتي مانتِ معاكِ المفتاح ولا هي غلبه يعني.

دخلت إلى الغرفة ثم قالت ضاحكة:

- خلاص عجزت ومش قادر تقوم تفتح الباب.

ضحك على كلماتها ثم قال:

- حوش حوش البت اللي مقطعة السكك جري.

أخذ نفسًا ثم قال:

- أنا مش عارف إيه لزمة الفندق والقاهرة والسفر والشحططة دي بقالنا أسبوع في الفندق معرفش بنعمل ايه؟

قالت «مريم» وهي تجلس على الكرسي المقابل للسرير:

- سيب العيال ينبسطوا يا «مالك».. سيف شاب طموح وحابب يعيش مع بنتك في القاهرة وعايز يعملها أحسن فرح في الدنيا وعايزنا كلنا حواليه عشان وجودنا هيفرح «حور» خالص.

أصبحت علاقتهما قوية وكان سبب قوتها الـ«حور»ي هو «حور»، تلك الفتاة التي كانت طوق نجاة لـ«مريم» لتعيش معها عمرها كله كوالدة وصديقة لها، اشتدت علاقتهما قوة يومًا بعد يوم إلى أن رأتها عروسة.

قطع حديثهما صوت الهاتف لتتحرك «مريم» إليه لتجد أنه العريس، قبل أن تجيب على الهاتف جاء صوت «حور» من الغرفة المجاورة:

- تلاقيه سيف يا بابا ناولني التليفون.

تحركت «مريم» بالهاتف إلى «حور»، فتحت باب الغرفة ودخلت إليها لتساعدها في كل شيء، بمجرد أن رأتها قالت:

- كل دا تأخير يا ماما.. محتاسة من غيرك.

أنهت «مريم» و«هاجر» تجهيز العروس، كانتا معها من أول النهار لآخره، كانت تشبه الملائكة في جمالها ونور وجهها، اشتعلت الأنوار وامتلأت القاعة عن آخرها، خرج «مالك» و«مصطفى» إلى الشرفة على صوت كلاكسات السيارات، كان العريس يصعد السلالم مسرعًا متجهًا إلى غرفة العروس، أمسكه «مالك» من ياقته ثم قال:

- رايح فين يلا خد هنا.. انت اتجننت.

رد سيف ضاحكًا:

- جرا إيه يا خالي بس.. دي كلها ساعة بالظبط وهتبقى مراتي على سنة الله ورسوله.

رد «مالك» على ابن شقيقته قائلًا:

- لما تبقى مراتك يا حبيبي ابقى خش واطلع زي مانت عايز.. لم نفسك وانزل تحت ولما تخلص هجيبها لك وانزل.

قال وهو يتحرك ناحية الباب:

- طب يلا عشان المأذون وصل خلاص وكل حاجة جاهزة.

كان الفرح مقامًا في أحد أكبر فنادق القاهرة وكان هذا طلب العريس فوافق «مالك» عليه رغم أنه كان يفضل أن يفرحوا جميعًا في المنزل الذي جمعهم، قبل أن يغادر سيف من الطرقة إلى القاعة خرجت «مريم» و«هاجر» برفقة ملاكهما الصغير على الجميع، وقف سيف مكانه ولم يتحرك، كان لا يصدق نفسه، وقف الجميع أمام حسنها وجمالها صامتين، التف جميع أفراد عائلتها الصغيرة حولها، كانت ضحكتهم تملأ المكان، كان عوض الله جميلًا على الجميع.

عوض الله «حور» بـ«مريم» بعد أن فقدت والدتها ولم ترها.

عوض الله «مريم» بـ«حور» بعد أن حرمها الله نعمة الإنجاب.

عوض الله سيف بابنة خاله «حور» بعد أن كبر حياته معها وعرفا معنى الحب والسعادة مع بعضهما البعض دومًا.

وعوض الله «مالك» بكل هؤلاء، عوضه الله بشقيقته التي ظلت ترعاه وتهتم به إلى أن أصابه العجز، عوضه بصديقه الذي ظل سندًا له منذ البداية إلى الآن، عوضه الله بوجود «مريم» بعد أن اعترفت بخطئها وحاولت التكفير عنه بتربيتها لـ«حور»، عوضه الله بحوريته بعد أن تخيل أنها غادرت الحياة وتركته وحيدًا. ظلت برفقته وتأتي له باستمرار لتؤنس وحدته وتتكلم معه وتهون عليه وجعه.

نزل «مالك» و«مريم» السلم إلى القاعة وبينهما «حور» حاملين ذراعيها ليوصلاها إلى عريسها، ومن خلفهم «مصطفى» و«هاجر» يتسندان على بعضهما البعض، وعلي يرقص أمام الجميع، جلسوا جميعًا بجانب المأذون ليعقد قران سيف على «حور»، وقفت «حور» خلف ابنتها ليراها «مالك» فيتحرك ليقف بجانبها خلف ابنتهما،

انتهى المأذون بإعلانهما زوجين ثم ساد الهرج والمرج وبدأ الجميع في المرح على صوت الأغاني التي شغلها الـ«DJ».

تركهم «مالك» وأخذها من يدها وتحرك بها بعيدًا، بعيدًا عن كل شيء كما كان يفعل دومًا أثناء حياتها.

-تمت بحمد الله-